هوارد لافكرافت

ما يجلبه القمر

مجموعة قصصية

العنوان: ما يجلبه القمر

المؤلف: هوارد لافكرافت

الجزائر تقرأ

8 شارع حساني يسعد، الجزائر الوسطى،
الجزائر العاصمة/ الجزائر

إيميل: NASHR.DZREADS@GMAIL.COM

فايسبوك / تويتر / سنابشات / يوتيوب/ تلغرام @dzreads

إنستغرام @dz_reads

للمهتمين بالحصول على كتبنا، يرجى طلبها من متجرنا
الإلكتروني، توصيل لغاية باب البيت

DZREADS.COM

يمكن الحصول على هذا
الكتاب وغيره من كتب
الجزائر تقرأ الأخرى
وماتشتهيه من كتب عبر
متجرنا الإلكتروني مع توصيل
لباب البيت

DZREADS.COM

‹الجزائر تقرأ›

هذا العمل منشور تحت رخصة المشاع الإبداعي
ومرخص من طرف رخصة جنو للوثائق الحرة
ترجمة: wikisource

نبذة عن هوارد فيليبس لافكرافت[1]

هوارد فيليبس لافكرافت (20 أغسطس 1890– 15 مارس 1937)، كاتب أمريكي للخيال الغريب وخيال الرعب، وعُرِف بإنشائه لما أصبح كثولو ميثوس.

ولد في مدينة بروفيدنس بولاية رود آيلاند، قضى لافكرافت معظم حياته داخل نيو إنجلاند. ولد وفي فمه ملعقة ذهب انتهت بوفاة جده. في عام 1913 كتب رسالة نقدية لمجلة اللب أدت في النهاية إلى مشاركته في خيال اللب. خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، كتب ونشر قصصًا ركزت على تفسيره لمكانة الإنسانية في الكون. في رأيه، كانت الإنسانية جزءًا غير مهم من الكون غير المكترث الذي يمكن أن يجرف في أي لحظة. تضمنت هذه القصص أيضًا عناصر عجائبية تمثل الهشاشة المدركة لمركزية الإنسان.

كان لافكرافت في مركز مجموعة كبيرة من المؤلفين تُعرف باسم «دائرة لافكرافت». كتبت هذه المجموعة

1 موسوعة ويكيبيديا الحرة

قصصًا شاركوا تفاصيلها فيما بينهم بشكل متكرر. كان أيضًا كاتبًا غزير الإنتاج للرسائل. احتفظ بمراسلات مع العديد من المؤلفين المختلفين وحماة الأدب. وفقًا لبعض التقديرات، كتب ما يقرب من 100 ألف رسالة على مدار حياته. في هذه الرسائل، ناقش نظرته للعالم وحياته اليومية، ودرّس المؤلفين الأصغر سنًا، مثل أوغست ديرليث ، ودونالد واندري، وروبرت بلوخ.

طوال سنوات شبابه، لم يكن لافكرافت قادرًا على إعانة نفسه من أرباحه كمؤلف ومحرر. كان مجهولًا فعليًا في أثناء حياته، ونشر بشكل حصري تقريبًا في مجلات اللب قبل أن يموت فقيرًا في سن 46، لكنه يعتبر الآن أحد أهم مؤلفي قصص الرعب الخارقة للطبيعة في القرن العشرين. من بين أكثر حكاياته شهرة «نداء كثولو»، و«الجرذان في الجدران»، و«عند جبال الجنون»، و«الظل فوق إنسموث»، و«الظل من خارج الزمن». كتاباته هي أساس كثولو ميثوس، الشخصية الخيالية التي ألهمت مجموعة كبيرة من المعارضة الأدبية، والألعاب، والموسيقى، ووسائل الإعلام الأخرى التي رسمت شخصيات لافكرافت، وإطاراته وموضوعاته، ما شكّل

نوعًا فرعيًا أوسع يعرف باسم رعب لافكرافتي.

. في 27 مارس 1904 أصيب «بصدمة شللية» (على الأرجح سكتة دماغية). توفي في اليوم التالي، في منزله في شارع 454 آنجل.

الجزائر تقرأ

الذاكرة

قصة قصيرة جدا كتبها هوارد فيليبس لافكرافت في عام 1919، ونشرت لأول مرة في عدد مايو 1923 من مجلة The National Amateur.

في وادي نيس، يشرق القمر النحيل الملعون على الأرض، ويشقّ نوره الضعيف طريقه من خلال الأوراق الخضراء الكثيفة لأشجار الأوباس العظيمة. وضمن أعماق الوادي، حيث لا يصل الضوء، تتحرك أشكال لا يجب النظر إليها. غزيرة هي الأعشاب التي تنمو على المنحدرات، حيث تزحف الكروم الشريّرة والنباتات المتسلّقة وسط أحجار القصور الخربة، وتلتف بإحكام حول الأعمدة المحطمة والأنصاب الغريبة، وترتفع فوق أرصفة الرخام التي نصبتها أيدي منسيّة. وبين الأشجار العملاقة في الأفنية المنهارة تقفز القردة الصغيرة، وبين مدافن الكنوز العميقة تتلوى ثعابين سامّة وأشياء ذات حراشف لا اسم لها. عريضة هي الأحجار التي تنام تحت غطاء من الأشنة

الرطبة، وهائلة كانت الحيطان التي سقطت. فقد بناها العمال لتنتصب إلى الأبد، ومازالت تؤدي واجبها بنُبل إلى الآن، إذ يجلس تحتها ضفدع رمادي يتخذها مسكنا.

في قاع الوادي يقع نهر ثان، ذو المياه اللزجة والمملوءة بالأعشاب. ينبع من نبع مخفي، ويتدفق إلى الكهوف تحت الأرض، حتى لا يعرف شيطان الوادي لماذا مياهه حمراء، ولا إلى أين هي راحلة.

أتى جني يسكن أشعة القمر وتحدث إلى شيطان الوادي، قائلا، «أنا عجوز وأنسي كثيرا. أخبرني عن صنائع وشكل واسم الذين صنعوا هذه الأشياء من الحجارة". وأجاب الشيطان، «أنا الذاكرة، وأنا حكيم بعلم الماضي، لكنّي عجوز أيضا. تلك الكائنات كانت مثل مياه نهر ثان، لا ينبغي أن يفهمها أحد. لا أتذكر صنائعهم، فلم يطل وجودهم إلا للحظة. أما سيماهم فبالكاد أتذكرها، وكانت مثل تلك القرود الصغيرة على الأشجار. أما اسمهم فأتذكّره بكل وضوح، فله قافية باسم ذاك النهر. تلك الكائنات من الأمس كانت تدعى الإنسان».

عاد الجني طائرا إلى القمر النحيل، ونظر الشيطان باهتمام شديد نحو قرد صغير يجلس في شجرة نمت في فناء منهار.

الشجرة

قصة قصيرة كتبها لافكرافت عام 1920 ونشرها في مجلة الهواة Tryout في أكتوبر 1921

على منحدر أخضر في جبل مايناالوس في أركاديا، تنتصب شجرة زيتون حول أنقاض بيت كبير. ويقع قربها قبر على الأرض كان ذات مرة مسرّة للعين بمنحوتاته الرفيعة، ولكن طاله الآن الخراب الذي طال البيت. في نهاية ذاك القبر، أزاحت جذور الشجرة كتل الرخام التي قطعت من جبل بينتيليكوس والتي عفا عليها الزمن، ونمت منها شجرة زيتون كبيرة ذات ظل كريه وغريب؛ ويخشى أهل المنطقة المسير قرب تلك الشجرة في الليل عندما يتخلل نور القمر الضعيف تلك الأغصان المعوجة، وكأنهم يتجنّبون رجلا بشعا أو مشوه الخلقة. جبل مايناالوس هو مسكن الإله بان، ويعتقد الرعاة البسطاء أن الشجرة مقرّبة من أتباع ورفاق هذا الإله؛ لكن مربّي النحل العجوز الذي يعيش في كوخ مجاور روى لي قصة مختلفة.

قبل عدة سنوات، عندما كان ذاك البيت على التلال جديدا وجميلا، سكن به نحاتان هما كالوس وموسيدس. وقد أشاد الجميع من ليديا إلى نيابوليس بجمال أعمالهما، ولم يتجرأ أحد أن يقول أن أحدهما أبرع من الآخر. انتصب تمثال هرمس الذي نحته كالوس في مزار رخامي في كورنثوس، أما تمثال بالاس من صنيع موسيدس فيعلو عمودا في أثينا بالقرب من البارثينون. قدم الجميع ثناءهم وإجلالهم لكالوس وموسيدس، وتعجّبوا أن الغيرة الفنّية لم تؤثر على حرارة الصداقة الأخوية بينهما.

ورغم أن كالوس وموسيدس سكنا في وئام لا ينكسر، فلم تكن طبيعتهما سواء. فقد كان موسيدس يحب التجوال في الليل وسط مباهج الحضارة في تيجيا، أما كالوس فقد أحب البقاء في المنزل؛ وكان يتسلل عن مرأى عبيده إلى أعماق بستان الزيتون. هناك كان يتأمل بالرؤى التي ملأت عقله، وهناك يبتكر أشكالا من الجمال لتصبح قطعا من الرخام الخالد. قال الكسالى والخاملون أن كالوس يتكلم مع أرواح البستان، وأن تماثيله كانت صورا للآلهة والحوريات ذلك أنه لم يبن عمله على أي نموذج حي.

نال كالوس وموسيدس من الشهرة الكثير، فلم يتعجب أحد عندما أرسل طاغية سراقوسة نوابه ليتحدثوا معهما بشأن بناء تمثال نفيس للإلهة تيخي كان ينوي وضعه في مدينته. يجب أن يكون التمثال كبير الحجم وسويّ الصنعة، فيكون أعجوبة بين الأمم ومقصدا للمسافرين. ومن يفوز بهذا الشرف سيكون ذا رفعة وشأن، وتمت دعوة كالوس وموسيدس للمنافسة على هذا العمل. كان حبهما الأخوي معروفا للناس، وظن الطاغية الماكر أنه بدلا من يخفي كل منهم عمله عن الآخر، فسيقدمان العون والمشورة لبعضهما؛ وسينتج عن هذا صورتان لجمال لم تره أي عين، ومن يتفوق منهما في الجمال فسيغلب كل أحلام الشعراء.

فرح النحاتان ورحّبا بعرض الطاغية، في الأيام التي تلت سمع عبيدهما ضربات الأزاميل المتواصلة. ولم يخفي كالوس وموسيدس عملهما عن بعضها، ولكن هذا العمل لم يكن مرئيا إلا عليهما فقط. لم تبصر أي عين أخرى تلك التماثيل الإلهية التي شكلتها أيدي ماهرة من كتل الصخر التي حُبست داخلها منذ بدء الدهر.

في الليل، كما في الأيام الخوالي، تجول موسيدس بين

قاعات المآدب في تيجيا، أما كالوس فكان يمشي وحيدا في بستان الزيتون. ولكن مع مرور الوقت، لاحظ الناس أن البهجة بدأت تخبو من محيا موسيدس، إذ كانوا يعرفونه رجلا مفعما بالحياة. وتكلموا فيما بينهم أن الاكتئاب قد ينال من فرد قد يفوز بأسمى جوائز الفن. ومرت عدة أشهر ولم يظهر على وجه موسيدس المتجهم ذاك الترقب الذي يتولّد من هذه الجائزة

ثم تحدث موسيدس في أحد الأيام عن مرض كالوس، ولم يبد أحد بعدها إعجابه أمام ما أبداه موسيدس من حزن، ذلك أن صداقة هذين النحاتين كانت عميقة ومبجّلة ويشهد لها الآفاق. ذهب العديدون لزيارة كالوس في مرضه، ولاحظ جميعهم شحوب وجهه؛ ولكنهم رأوا بوجهه صفاء وسعادة جعلا في محياه سحراً وبهجة لم يظهرا على وجه موسيدس الذي اعتراه القلق ودفع كل عبيده جانبا وحرص على إطعام صديقه والسهر عليه. وخلف تلك الستائر الثقيلة، انتصب تمثالان لم يكتملا للإله تيخي، إذ مرّ وقت منذ أن مسّتها يد الرجل الحزين وصاحبه المريض.

ظل جسد كالوس يضعف أكثر فأكثر رغم كل جهود

الأطباء الحائرين وصديقه الدؤوب، وكثيرا ما طلب أن يُحمل إلى البستان الذي يحبه. وهناك يطلب منهم أن يتركوه لوحده، كما لو كان يرغب في الحديث مع أشياء لا تُرى. لبّى موسيدس كل طلباته، ولكن الدموع ظلت تنساب من عينيه وهو يفكر أن على كالوس أن يهتم برضا الآلهة أكثر من رضا صديقه. أزفت النهاية، وتحدث كالوس عما وراء هذه الدنيا. بكى موسيدس ووعده بقبر أجمل من قبر ماوسولوس؛ لكن كالوس دعاه ألا يزيد كلمة أخرى عن عجائب الرخام. ولم يكن بذهن كالوس إلا أمنية واحدة فقط؛ أن تُدفن قرب رأسه أغصان زيتون من البستان. وفي إحدى الليالي، مات كالوس وهو يجلس وحيدا في الظلام وسط بستان الزيتون. نحت موسيدس المكلوم لصديقه الحبيب قبرا من الرخام كان غاية في الجمال. لم يكن بمقدور أحد عداه أن يصنع صورا بمثل هذا الجمال إلا كالوس نفسه، حيث عرضت الأفاريز جميع روائع الفردوس. ونفذ موسيدس رغبة صديقه بأن دفن قرب رأسه أغصان زيتون من البستان.

حزن موسيدس لفراقه، وهاج وثار من الحزن ثم استسلم لما انقضى، وبدأ يعمل بجهد وحرص على تمثال

تيخي. أصبح له الآن كل الشرف، فلن يضع طاغية سراقوسة يده إلا على عمله هو أو كالوس. ظل ينفس عن مشاعره بالعمل وظل يكدّ بثبات كل يوم، ويبتعد عن المسرات التي كان يتلذّذ بها. وفي ذات الوقت كان يمضي أمسياته بجانب قبر صديقه، حيث نمت شجرة زيتون صغيرة قرب رأسه. نمت هذه الشجرة بسرعة، وكان مظهرها غريبا، وكل من رآها صاح مدهوشا؛ وبدا موسيدس مسحورا بها ونافرا منها في آن واحد.

بعد ثلاث سنوات من وفاة كالوس، أرسل موسيدس رسولا إلى الطاغية ينبئه بانتهاء العمل على التمثال العظيم، وتهامس الجميع في تيجيا بهذا الخبر. وبحلول ذلك الوقت نمت الشجرة على القبر بشكل لا يصدق، متجاوزة كل مثيلاتها من الأشجار، ومدّت فرعا ثقيلا متفرّدا فوق الغرفة التي عمل بها موسيدس. أتى عديد الزوار ليروا الشجرة الهائلة، وليمتّعوا نظرهم بعمل النحات، ونادرا ما بقي موسيدس وحيدا. لم يضايقه هذا الكم من الضيوف؛ وبدا أنه الآن يرهب الوحدة بعد أن انقضى عمله الطويل. عصفت رياح الجبل الكئيبة، وتنهدت وهي تعبر بستان الزيتون والقبر.

كانت السماء مظلمة يوم أتى مبعوثو الطاغية إلى تيجيا. أتوا ليحملوا معهم تمثال تيخي الكبير ويمنحوا موسيدس العظمة الأبدية، ولهذا تم استقبالهم أحسن استقبال. هبّت على الليل عاصفة عنيفة من الرياح فوق قمة ماينالوس، وكان الرجال من سراقوسة البعيدة سعداء أنهم ارتاحوا في المدينة. تحدّثوا عن طاغية مدينتهم العظيم، وروعة عاصمته وما سيجلبه تمثال موسيدس من مجد. ثم تحدث رجال تيجيا عن طيبة موسيدس، وعما اعتراه من حزن لموت صديقه وكيف أن أكاليل الغار لن تعزّيه في غياب كالوس، والذي ربما ارتدى تلك الأكاليل بدلا عنه. كما تحدثوا عن الشجرة التي نمت على قبر قرب رأس كالوس. عصفت الرياح وعلا صوتها، ورفع كل من السراقوسيين والأركاديين صلواتهم للإله أيولوس.

أشرقت الشمس في الصباح، وقاد أهل المدينة رسل الطاغية نحو أعلى المنحدر إلى مسكن النحات، ولكن رياح الليل أتت بأشياء غريبة. ارتفع صياح العبيد من مشهد الخراب، ومن وسط بستان الزيتون انتصبت الأعمدة اللامعة في تلك القاعة الواسعة التي عمل فيها موسيدس وكد في العمل. بقيت الأفنية والجدران وحيدة ومتصدعة، وفوق تلك الأشكال الجميلة تدلت أغصان

الشجرة الثقيلة، وأصبحت أشكال الرخام كومة من الأنقاض القبيحة. وقف أهل تيجيا والأغراب مذهولين وهم يبصرون الحطام والشجرة الكبيرة، والتي كانت سيماها بشرية غريبة ووصلت جذورها حتى قبر كالوس. وزاد خوفهم وفزعهم عندما بحثوا في الغرفة المتهالكة عن موسيدس وتمثال تيخي الجميل، فلم يظهر أثر لأي منهما. وسط هذا الخراب الهائل لم تسكن سوى الفوضى، وأحس أهل المدينتين بالخيبة؛ فلم يجد أهل سراقوسة أي تمثال يحملوه معهم، ولم يجد أهل تيجيا أي فنان ليتوّجوه بالغار. ومع ذلك، تمكن المفوضون فيما بعد من الحصول على تمثال رائع من مدينة أثينا، وواسى أهل تيجيا أنفسهم بأن أقاموا في الساحة معبدا من الرخام يكرم موهبة موسيدس وفضائله وتقواه.

ولكن بستان الزيتون لا يزال قائما، وكذلك الشجرة التي نمت من قبر كالوس، وقال لي مربي النحل العجوز أنه من حين لآخر يسمع الأغصان وهي تهمس لبعضها البعض وسط رياح الليل، وهي تقول مرارا. «أويدا! أويدا! – أعلم! أعلم!»

نجم الشمال

قصة قصيرة كتبها لافكرافت عام 1918 ونشرها في عدد ديسمبر 1920 من مجلة The Philosopher

أرى نجم الشمال من النافذة الشمالية في غرفتي وهو يتوهّج بنور غريب. كان النجم يشرق في الأعلى خلال ساعات الظلام الجهنمية الطويلة. وفي الخريف، عندما تأتي رياح الشمال وهي تلعن وتنوح، وعندما تتهامس أشجار المستنقع ذات الأوراق الحمراء مع بعضها في ساعات الفجر تحت الهلال الهزيل، أجلس مرتاحا وأنا أراقب ذاك النجم. وعلى هذه المرتفعات تتألق كوكبة ذات الكرسي، وبدا الدب الأكبر من وراء أشجار المستنقع التي غطاها الضباب وتمايلت مع ريح الليل. وقبيل الفجر رأيت نجم الرّماح يتلألأ فوق المقبرة على الرابية المنخفضة، وكوكبة الهلبة تشرق بعيدا من الشرق الغامض؛ لكن نجم الشمال يرنو من نفس المكان في السماء السوداء، يرمش بعنف مثل عين تجاهد لتحمل رسالة غريبة، لكنه

لا يتذكر شيئا عدا أنه كان يحمل رسالة ما ذات مرة. أحيانا، فإن السماء تلبدها الغيوم، فأتمكن من النوم بسلام.

أتذكر جيدا ليلة الشفق القطبي العظيم، عندما برقت هذه الأنوار الشيطانية فوق المستنقع. وبعدها أتت الغيوم، ثم خلدت إلى النوم.

رأيت تلك المدينة للمرة الأولى تحت الهلال الهزيل. انتصبت ساكنة وناعسة على هضبة غريبة في وادٍ بين القمم الغريبة. بنيت حيطانها وأبراجها وأعمدتها وقببها وأرصفتها من الرخام الشاحب. وفي شوارع الرخام انتصبت أعمدة الرخام، ونحتت على قممها صور رجال ملتحين. كان الهواء دافئا وساكنا. وتوهّج نجم الشمال فوقها بعشرة درجات. ظللت أتفرس بالمدينة طويلا لكن النهار لم يأتي. ظهر نجم الدبران الأحمر، وظل يرمش قرب الأفق في السماء ولكنه لم يغرب، ورأيته وهو يزحف ربع الطريق حول الأفق، ورأيت ضوءا وحركة في البيوت والشوارع. خرجت أشكال تلبس ثيابا غريبة، وتحت القمر الهزيل تحدث الرجال الحكماء بلغة فهمت كلامها، ولكنها لم تشبه أيّ لغة أعرفها. وعندما زحف الدبران

الأحمر نحو الأفق، حل الظلام والصمت مجددا.

صحوت وقد حُفر في ذاكرتي منظر المدينة، وظهرت داخل روحي ذكرى أخرى مبهمة لست متأكدا من ماهيتها. فيما بعد، وعندما أنام في الليالي الغائمة، كنت كثيرا ما أرى المدينة؛ أحيانا أراها تحت نور ذاك القمر الهزيل، وأحيانا تحت أشعة الشمس الصفراء الحارة والتي لم تغرب، ولكنها ظلت قريبة من الأفق. وفي الليالي الصافية، كان نجم الشمال يتوهج كما لم يتوهج من قبل.

بدأت أتساءل عن مكاني في تلك المدينة على الهضبة بين القمم. كنت راضيا في بادئ الأمر بمراقبة كل شيء فيها بالروح دون البدن، ولكني أرغب الآن بتحديد علاقتي بها، وأن أتكلم بما يدور بخلدي بين الرجال الذين تحدّثوا كل يوم في الميادين العامة. قلت لنفسي، «هذا ليس حلما، فبأي وسيلة يمكنني أن أثبت واقعية الحياة الأخرى في بيت الحجارة والطوب جنوب المستنقع الشرير والمقبرة على الرابية المنخفضة، حيث يناظر نجم الشمال نافذتي الشمالية كل ليلة؟»

في إحدى الليالي كنت أستمع لحديث الناس في الميدان الكبير ذو التماثيل العديدة، وأحسست بتغيير في داخلي؛

أدركت أنه أصبح لدي جسد. لم أعد غريبا في شوارع مدينة أولاثوي التي تقع على هضبة ساركيس بين القمم نوتون وكاديفونيك. تكلّم معي صديقي ألوس، وكان حديثه يسرّ الروح لأنه كان حديث رجل حقيقي ووطني. وفي تلك الليلة أتت الأخبار بسقوط مدينة دايكوس، وتقدّم جيش الإينوتو؛ وهم شياطين صفر جهنميون ضخام الجثة ظهروا قبل خمسة سنوات من الغرب المجهول ليدمروا حدود مملكتنا، ثم يحاصرون مدننا. احتل هؤلاء القوم الأماكن المحصّنة أسفل الجبال، وأصبح طريقهم الآن مفتوحا إلى الهضبة، إلا إذا قاومهم كل مواطن بقوة عشرة رجال. ذلك أن تلك المخلوقات الضخمة كانت تتقن فنون الحرب، ولم تقم وزنا للشرف الذي منع رجالنا الطوال في لومار من البدء بغزو لا يرحم.

كان صديقي ألوس قائد كل قوات الهضبة، وضعت فيه بلادنا الأمل الأخير بالنجاة. تكلّم في هذه المناسبة عن الأخطار التي ستواجهنا، وحثّ رجال أولاثوي وشجعان لومار على مواصلة تقاليد أسلافهم، الذي اضطروا للهجرة جنوبا من زوبنا أمام تقدم طبقة الجليد العظيمة، وردّوا بكل جرأة أقوام الغنوفكيه المتوحشين ذي الشعر الكثيف

والأذرع الطويلة الذين وقفوا في طريقهم. لم يمنحني ألوس أي دور في القتال، فقد كنت ضعيفا وكان يغشى على إذا تعرضت للشدة والمشاق. لكن عيناي كانتا الأحدّ في المدينة، رغم ما قضيته من ساعات طويلة كل يوم وأنا أدرس المخطوطات البناكوتية وحكمة الآباء الزوبناريين؛ لم يرغب صديقي أن يجعلني فريسة للكسل، فمنحني واجبا كان عديم الأهمية تقريبا. أرسلني إلى برج مراقبة في ثابنين لأكون عينا لجيشنا. فإن حاول الإينوتو احتلال الحصن من الممر الضيق وراء قمة نوتون، وبذلك يفاجئون الحامية، فسأعطي إشارة النار التي تحذر الجنود وأنقذ البلدة من كارثة محتمة.

صعدت البرج وحيدا، إذ احتاجوا لكلّ رجل ضخم الجثة ليدافع عن المعابر. أنهك دماغي بالحماس والإعياء، إذ لم أنم منذ عدة أيام؛ رغم ذلك فقد كان عزمي ثابتا، ذلك أني أحببت وطني لومار، وأحببت مدينة أولاثوي الرخامية التي تقع بين قمم نوتون وكاديفونيك.

وقفت في الغرفة القابعة أعلى البرج، ونظرت إلى الهلال الهزيل، وكان أحمرا وشريرا، وبدا لي وهو يرتجف من الأبخرة التي حامت على وادي بانوف البعيد. رأيت نجم

الشمال الشاحب من فتحة في السقف وهو يتلألأ ويرتعش كما لو أنه كائن حي، وينظر إليّ شزرا وكأنه شيطان. فكرت أن روحه تهمس بكلام شرير وتغويني لأستسلم للنعاس الخائن بقصيدة ملعونة ظل يكرّرها مرارا:

«نم أيها الحارس حتى تدور الأرض
لستّ وعشرين ألف عام
إلى أن أعود
إلى البقعة التي أشتعل فيها الآن.
سترتفع النجوم الأخرى عما قريب
إلى محورها وسط السماء؛
نجوم تلقى سكونها ونجوم تلقي بركتها
بالنسيان الجميل:
وعندما تنتهي دورتي
سيدقّ الماضي على بابك.»

عبثا كنت أنازع النعاس، وأنا أحاول أن أربط بين هذه الكلمات الغريبة وبعض من علوم السماء التي تعلمتها من المخطوطات البناكوتية. أحسست برأسي وهو بتثاقل ويدور ويتدلى إلى صدري، وعندما نظرت للأعلى وجدت أنني في حلم؛ ورأيت نجم الشمال يبتسم إلي من نافذة

فوق الأشجار المتهادية المخيفة فوق مستنقع الحلم. وكنت ما زلت أحلم.

وسط هذا الخزي واليأس كنت أصرخ بجنون، أستجدى مخلوقات الحلم حولي لتوقظني قبل أن يحتل الإينوتو الممر خلف قمة نوتون ويفاجئون الحصن؛ لكن هذه المخلوقات شيطانية، يسخرون مني ويقولون أنني لا أحلم. يسخرون مني وأنا نائم، والعدو الأصفر البدين ينسلّ بهدوء علينا. فشلت في واجبي وخنت مدينة أولاثوي الرخامية؛ خذلت ألوس، صديقي وقائدي. لكن ظلال الحلم لا تزال تسخر مني. تقول أنه لا توجد أرض تدعى لومار إلا في أحلامي؛ وفي تلك العوالم حيث يشرق نجم الشمال ويزحف الدبران الأحمر نحو الأفق، فلا يوجد شيء الثلج والجليد منذ آلاف السنين، ولا يعيش بها إنسان عدا شعب أصفر بدين أنهكه البرد، وكان يدعى «الإسكيمو».

أتلوى والذنب يعذبني، أسعى بكل جهدي لأنقذ المدينة التي يتعاظم عليها الخطر في كل لحظة، وأجاهد لأنفض عني هذا الحلم الغريب عن بيت من الحجارة والطوب جنوب المستنقع الشرير والمقبرة على الرابية المنخفضة؛

ينحني نجم الشمال، مستويا وبشعا، من المدفن الأسود، يرمش مثل عين مجنونة تجاهد لتوصل رسالة غريبة، لكنه لا يتذكر شيئا عدا أنه كان يحمل رسالة ما ذات مرة.

الجزائر تقرأ

قطط أولثار

قطط أولثار هي قصة قصيرة كتبها هوارد فيليبس لافكرافت، وكتبت في 15 يونيو 1920، ونشرت لأول مرة في عدد نوفمبر 1920 من مجلة صحافة الهواة Tryout. وهي تنتمي إلى مجموعة قصص سلسلة الأحلام.

يقال إنه في مدينة أولثار، التي تقع وراء نهر سكاي، لا يُسمح لإنسان بقتل قط. أصدّق هذا وأنا أراه جالسا يخرخر أمام النار. فالقط غامض، وقريب من أشياء غريبة لا يمكن لإنسان أن يراها. هو روح أيجيبتوس القديمة، ويحمل حكايات من مدن مروي وأوفير المنسية. هو قريب زعماء الغابة، ووريث أسرار أفريقيا العتيقة والمشؤومة. أبو الهول هو ابن عمه، ويتكلم لغته؛ لكنّه أكثر قدما من أبو الهول، ويتذكر أشياء نسيها أبو الهول.

في أولثار، قبل أن يحرّم المواطنون قتل القطط، سكن هناك قروي عجوز وزوجته، وكانا يستمتعان بصيد وقتل قطط الجيران. أما عن سبب فعلهم هذا فلا أعرف؛

ربما لأن الكثيرين يكرهون صوت القطط في الليل، ويكرهون مرور تلك القطط خلسة في الباحات والحدائق وقت الغسق. لكن مهما كان السبب، فقد استمتع هذا العجوز وزوجته بصيد وقتل أي قطة اقتربت من كوخهم؛ أما الأصوات التي سُمعت في الظلام، فقد أوحت لعديد القرويين أن القطط قتلت بطرق غريبة جدا. لكن القرويين لم يُناقشوا مثل هذه الأشياء مع العجوز وزوجته؛ بسبب ما يعلو وجوه الزوجين من ذبول وشر، ولأن كوخهم كان صغيرا جدا ومخفي تحت ظلال البلوط خلف باحة مهملة. في الحقيقة، بقدر ما كره أصحاب القطط هؤلاء القوم، فقد كانوا يخشونهم أكثر؛ وبدلا من أن يوبّخوهم على أفعالهم كونهم قتلة متوحشين، فقد أخذوا حذرهم ألا يشرد أي حيوان عزيز نحو الكوخ البعيد. وعندما يشرد الأهل وتغيب القطّة عنهم، وتسمع الأصوات بعد الظلام، فإنهم يرْثون أنفسهم عبثا؛ أو يواسون أنفسهم شاكرين أن هذا المصير لم يحل بأطفالهم. ذلك أن أهل أولثار كانوا بسطاء، ولا يعرفون متى وكيف أتت القطط إلى هذه الدنيا.

في أحد الأيام أتت من الجنوب قافلة من الرحّل الأغراب

ودخلت شوارع أولثار المرصوفة والضيقة. كانوا سُمر البشرة، وكانوا مختلفين عن القوم الرحل الآخرين والذي يعبرون القرية مرتين كلّ سنة. كانوا يقرؤون البخت في السوق مقابل الفضة، واشتروا الخرز الجميل من التجار. أيا كانت أرض هؤلاء الرحّل فلا أحد يعرف مكانها؛ لكنهم كانوا يقرؤون الصلوات الغريبة، وكانوا يطْلون جوانب عرباتهم بأشكال غريبة لها أجسام بشر ورؤوس قطط وصقور وأكباش وأسود. أما زعيم القافلة فكان يلبس غطاء رأس بقرنين وقرصا غريبا بين تلك القرون.

هناك، في تلك العربة الوحيدة، جلس ولد دون أب أو أم، وليس له في الدنيا إلا هريرة سوداء صغيرة. لم يكن الطاعون رحيما به، إلا أنه ترك له هذا الشيء الصغير ليخفّف حزنه؛ ويجد المرء في صباه متعة كبيرة بمشاهدة ألاعيب هريرة سوداء. الولد الذي سماه الرحّل مينيس كان يبتسم أكثر مما كان يبكي وهو يلعب مع هريرته الرشيقة على درجات سلم العربة.

في الصباح الثالث من إقامة الرحّل في أولثار، لم يجد مينيس هريرته في أي مكان؛ وكان يبكي بصوت عالي وسط السوق عندما أخبره بعض القرويّين بأمر الرجل

العجوز وزوجته، والأصوات التي يسمعونها في الليل. وعندما سمع الفتى بهذه الأشياء بدأ بالتأمل ثم الصلاة. مدّ ذراعيه نحو الشمس وصلى بلغة لم يفهمها أي قرويّ؛ وفي الحقيقة لم يحاولوا فهمها، فقد كان انتباههم منصبّا على السماء والغيوم الغريبة التي تشكلت بمنظر غير مألوف. كان الأمر غريبا جدا، ولكن عندما تلفظ الولد الصغير بدعواه، تشكلت فوقه أشكال ضبابية غامضة؛ مخلوقات هجينة متوّجة بأقراص عليها قرون. إن الطبيعة مليئة بمثل هذه الأوهام التي تثير الخيال.

في تلك الليلة رحل هؤلاء القوم عن أولثار، ولم يرهم أحد مجددا. وقلق أهل القرية عندما لاحظوا أنه لا يوجد أثر لقط واحد في كل القرية. اختفت كل القطط من المنازل؛ القطط الكبيرة والصغيرة، الرمادية والسوداء، المخطّطة، الصفراء والبيضاء. أقسم كرانون، العمدة العجوز، أن القوم سُمر البشرة أخذوا القطط بعيدا انتقاما لمقتل هريرة مينيس؛ ولعن القافلة والفتى الصغير. إلا أن نيث، كاتب العدل، قال أنه يرجح أن يكون العجوز وزوجته هما الفاعلان؛ فكراهيتهم للقطط كانت معروفة في القرية كلها. إلا أن أحدا لم يتجرأ أن يشتكي للزوجين الشريرين؛

وأقسم أتال الصغير، ابن صاحب الحانة، أنه رأى في وقت الغسق كل قطط أولثار في تلك الباحة الملعونة تحت الأشجار، تمشي ببطء في دائرة حول الكوخ، كل اثنين سوية، كما لو أنهم يؤدون طقسا من طقوس الحيوانات المجهولة. لم يعرف القرويون إن كانوا سيصدقون كلام ولد صغير؛ ورغم أنهم خافوا أن الزوجين سحرا القطط نحو حتفها، فقد فضلوا ألا يتكلموا مع العجوز حتى يقابلوه خارج باحته المظلمة والبغيضة.

خلد أهل أولثار للنوم وهم غاضبون؛ وعندما صحوا عند الفجر – نظروا أمامهم! كل قط عاد إلى مكانه المعهود أمام الموقد! الرمادي والأسود والكبير والصغير، المخطط، الأصفر والأبيض، لم يضع أي منها. لكن القطط ظهرت ملساء وسمينة وترن بخرخرتها. تكلم المواطنون مع بعضهم البعض عما حدث، وكان يملؤهم التعجب. أصر كرانون العجوز ثانية أن هؤلاء الرحّل هم من أخذوها، فلم يحدث أن رجع أي قط حيا من كوخ العجوز وزوجته. لكنهم كلهم اتّفقوا على شيء واحد: إن رفض كلّ القطط أن تأكل اللحم أو تشرب الحليب كان أمرا يثير الريبة. وليومين كاملين لم تقرب أي من قطط أولثار الكسولة

غذاءها، بل كانت تغفو إما أمام النار أو تحت الشمس.

مر أسبوع كامل قبل أن يلاحظ القرويون أن النور لا يظهر عند الغسق في نوافذ الكوخ تحت الأشجار. ثم أشار نيث النحيل أن أحدا لم ير العجوز أو زوجته منذ الليلة التي غابت فيها القطط. في أسبوع آخر، قرر العمدة التغلب على مخاوفه وزار المسكن كنوع من الواجب، وقبل أن يقوم بذلك أخذ معه شانغ الحداد وثول قاطع الحجارة كشهود. وعندما حطّموا الباب الضعيف لم يجدوا إلا هذا: هيكلان عظميين بشريين نظيفين من اللحم قابعين على الأرضية الطينية، وعدد من الخنافس تتحرك ببطء في الزوايا المعتمة.

كثر الكلام بعد ذلك بين مواطني أولثار. تجادل زاث القاضي بشكل مطول مع نيث كاتب العدل النحيل؛ أما كرانون وشانغ وثول فقد أمطرتهم الأسئلة. حتى أتال الصغير، ابن صاحب الحانة، تم استجوابه مباشرة وأعطي حلوى كجائزة. تحدثوا عن الرجل العجوز وزوجته، عن قافلة الرحل، عن مينيس الصغير وهريرته السوداء، عن صلاة مينيس وما حدث للسماء خلال تلك الصلاة، عما فعلته القطط في الليلة التي رحلت فيها القافلة، وما

وجدوه لاحقا في الكوخ تحت الأشجار المظلمة في الساحة البغيضة.

وفي النهاية أقرّ المواطنون ذلك القانون الغريب الذي تحدث عنه التجّار في هاثيغ وتناقشه المسافرون في نير؛ الذي ينص أنه في أولثار لا يقتل إنسان قطا.

‹الجزائر تقرأ›

تاريخ العزيف

تاريخ العزيف هو نص قصير كتبه لافكرافت عام 1927 ونشر عام 1938.

تاريخ العزيف أو نيكرونوميكون

العنوان الأصلي «العزيف» – والعزيف هي كلمة يستخدمها العرب ويصفون بها تلك الأصوات في الليل (التي تصدرها الحشرات) والتي يقال أنها عواء الشياطين.

ألّفه عبد الله الحظرد، وهو شاعر مجنون من مدينة صنعاء اليمنية ويقال أنه عاش خلال عهد الخلفاء الأمويين حوالي العام 700 للميلاد، وزار آثار بابل وأسرار منف المدفونة وقضى عشر سنوات وحيدا في جنوب صحراء الجزيرة العربية العظيمة – والتي دعاها القدماء الربع الخالي – ويسميها العرب المعاصرون «الدهناء»، والتي يقال أنها مسكونة بالأرواح الشريرة ووحوش الموت. يقول عديد الناس الذين زعموا أنهم اخترقوا هذه

الصحراء أنها مليئة بأعاجيب غريبة لا تصدق. سكن الحظرد في دمشق خلال السنوات الأخيرة من حياته، حيث ألف كتاب نيكرونوميكون (العزيف)، ويقال أن العديد من الأشياء الفظيعة حدثت خلال سنة وفاته أو اختفائه (738 ميلادية). وقال ابن خلكان (كاتب سير من القرن الثاني عشر) أن وحشا غير مرئي قد نال منه في وضح النهار والتهمه أمام عدد كبير من الشهود الذين جمّدهم الخوف. قيلت أشياء كثيرة عن جنونه. زُعم أنه شاهد مدينة إرم الرائعة ذات العماد، وأنه بحث تحت أنقاض مدينة مجهولة في الصحراء فوجد سجلات وأسرار مروّعة عن عرق أقدم من البشر. لم يكن الحظرد مسلما تقيا، وكان يعبد كيانات مجهولة سماها يق سثوث وكثولو.

تم تداول العزيف بكثرة بين فلاسفة العصر ولكنهم تداولوه خلسة، وقد تُرجم إلى اليونانية سرا من قبل ثيودوروس فيليتاس من القسطنطينية عام 950 ميلادي تحت عنوان نيكرونوميكون. دفع هذا الكتاب الباحثين لقرن من الزمان أن يقوموا بتجارب رهيبة، قبل أن يقوم البطريرك ميخائيل بمنع هذا الكتاب وحرقه. بعد ذلك لم يتحدث أحد عن الكتاب إلا خلسة، ولكن في عام 1228،

قام أولاوس فورميوس بترجمته إلى اللاتينية في العصور الوسطى، وطبع النص اللاتيني مرتين – مرة في القرن الخامس عشر بالخط القوطي (من الواضح في ألمانيا)، ومرة في القرن السابع عشر (على الأغلب في إسبانيا) – وكلا الطبعتان لا تحتويان على علامات مميزة، ولكن تم تحديد زمن ومكان طباعتها عن طريق الدلائل في الطباعة فقط. تم حظر العمل سواء بالترجمة اللاتينية واليونانية من قبل البابا غريغوريوس التاسع عام 1232، وذلك بعد وقت قصير من إصدار الترجمة اللاتينية، ما لفت الانتباه للكتاب. ضاع النص العربي الأصلي في زمن فورميوس، كما يتضح من مذكرته التمهيدية؛ كما ضاعت النسخة اليونانية ولم يعثر عليها – والتي طبعت في إيطاليا بين عامي 1500 و 1550 – منذ أن تم حرق مكتبة رجل في سالم في أمريكا عام 1692. تم وضع ترجمة إنجليزية من قبل الدكتور دي لكنها لم تطبع أبدا، ولا توجد من المخطوطة الأصلية إلا بقايا. أما بالنسبة للنصوص اللاتينية فهناك الآن واحدة (من القرن الخامس عشر) في المتحف البريطاني وأقفل عليها تحت حراسة مشددة، في حين أن نسخة أخرى (القرن السابع عشر) هي الآن في

المكتبة الوطنية في باريس. هناك طبعة من القرن السابع عشر هي في مكتبة وايدنر في جامعة هارفارد، وفي مكتبة جامعة ميسكاتونيكك في أركهام. كذلك هناك واحدة في مكتبة جامعة بوينس آيرس. يقال أن هناك العديد من النسخ الموجودة في السر، ويشاع أن نسخة من القرن الخامس عشر هي الآن جزء من مجموعة لدى مليونير أمريكي شهير. هناك إشاعة أكثر غموضا تقول أن النص اليوناني في القرن السادس عشر حفظ لدى أسرة بيكمان من سالم؛ ولكن إذا كان قد تم الحفاظ عليه فعلا، فقد اختفى مع الفنان آر يو بيكمان، الذي اختفى بدوره في بداية العام 1926. تقوم السلطات في معظم البلدان بقمع الكتاب بكل صرامة، وكذلك تفعل جميع الأديان النظامية. تؤدي قراءته إلى عواقب وخيمة. ويقال أن الكاتب روبرت تشامبرز استمد فكرة روايته الأولى «الملك في الأصفر» من الشائعات التي رويت عن هذا الكتاب (لا يعرفها من عامة الناس إلا عدد قليل نسبيا).

ما يجلبه القمر

ما يجلبه القمر هي قصة قصيرة كتبها لافكرافت عام 1922 ونشرها في مجلة National Amateur عام 1923.

أكره القمر وأخشاه، فحين يشرق على مشاهد مألوفة ومحبّبة فإنه يجعلها غريبة وبشعة.

كان الزمن فصل الصيف عندما أشرق القمر على الحديقة القديمة التي كنتُ أتجول بها؛ وسط أطياف الصيف والزهور المخدّرة وبحار أوراق الشجر النديّة التي تُلقي على المرء أحلاما مجنونة ذات ألوان زاهية. وعندما مشيتُ بجانب تيار الماء الصافي والضحل رأيت تموّجات غريبة يعلوها نور أصفر، كما لو أن تلك المياه الهادئة لم تقاوم التيار الذي أخذها إلى محيطات غريبة ليست من هذا العالم. صامتة وملألئة... مشرقة ومؤذية... رأيتُ تلك المياه التي لعنها القمر وهي تجري ولا أعلم إلى أين مسعاها؛ بينما ارتعشت أزهار اللوتس البيضاء على

ضفاف النهر واحدة تلو الأخرى تحت ريح الليل الهادئة وسقطت على الجدول بكل يأس، وحامت بعيدا تحت الجسر الصخري المقوّس، وهي تحدّق إلى الوراء بنظرة شريرة أتت من وجه هادئ وميت.

جريت على طول الشاطئ وأنا أسحق الزهور النائمة بقدميّ الغافلتين وقد أصابني الجنون بسبب خوفي من أشياء مجهولة، ورأيت تحت نور القمر أن الحديقة لا نهاية لها؛ فالمكان الذي انتصبت فيه الجدران في النهار، رأيت محلّه الآن آفاقا جديدة من الأشجار والمسارات والزهور والشجيرات، والأصنام الحجرية والمعابد، وانحناءات الجدول الذي أناره القمر الأصفر وسط الضفاف المعشوشبة وتحت جسور الرخام البشعة. وهمست لي أزهار اللوتس الميتة بكل أسى، ودعتني أن أتبعها، كما لم أتوقّف عن المشي حتى تحول الجدول إلى نهر، وسالت مياهه على ساحل بحر شاسع ومجهول وسط أعمدة القصب المتمايلة والمستنقعات والشواطئ التي يعلوها الرمل اللامع.

أشرق القمر البغيض على هذا البحر، وعلى أمواجه الصامتة وُلِدت روائح غريبة. رأيت أزهار اللوتس وهي

تختفي، وتمنيت لو أنّي أملك شبكة لأمسكها فأتعلم منها الأسرار التي يبوح بها القمر على الليل. ولكن عندما مضى القمر إلى الغرب وانحسر المد الساكن عن الشاطئ الكئيب، رأيت أبراجا قديمة كشفها الموج، وأعمدة بيضاء تزيّنها أعشاب البحر الخضراء. كنت أعلم أن هذا المكان الغارق هو ملتقى يجتمع فيه كل الموتى، فارتجفت ولم أرغب بالحديث مع أزهار اللوتس مرة أخرى.

رأيت من بعيد فوق البحر طائر كندور أسود ينزل من السماء ليرتاح على الشعاب المرجانية الواسعة، واشتهيت أن أتحدث معه، وأسأله عن أولئك الذين كنت أعرفهم قبل أن يغادروا الحياة. كنت سأسأله هذا لو لم أكن بعيدا عنه، لكنه كان بعيدا جدا، واختفى عن بصري عندما اقترب أكثر فأكثر من الشعاب المرجانية العملاقة.

شاهدت المد يخرج من تحت القمر الغارق، ورأيت وميض أبراج وأسطح المدينة الميتة التي يقطر منها الماء. حاول منخاري أن يصدّ عن نفسه رائحة موتى هذا العالم؛ ففي هذه البقعة الغريبة والمنسية تجمعت كل الجثث من أفنية الكنائس لتكون وليمة لديدان البحر السمينة.

نزل القمر الشرير قريبا من الأفق فوق هذه الأهوال،

ولكن ديدان البحر السمينة لا تحتاج القمر لتنال قوتها. شاهدت التموّجات التي خلّفتها الديدان وهي تتلوّى تحت الرمل، شعرت بقشعريرة من بعيد أتت من المكان الذي طار إليه الكندور، وكأن جسدي أحس بالرعب قبل أن تشهده عيناي.

كما لم يرتجف جسدي من قبل دون سبب، فعندما رفعت عيناي رأيت أن المياه قد انحسرت لمستوى منخفض، وأظهرت من تحتها الحيد المرجاني الواسع والذي لم أرى حوافه من قبل. وعندها رأيت أن الشعاب المرجانية لم تكن إلا تاجا بازلتيا أسودا لصنم مخيف تظهر جبهته الوحشية تحت ضوء القمر الخافت ولا بد أن حوافره الجهنمية مغروسة في هذه الرواسب الجهنمية لعدة أميال، صرخت خوفا من أن يرتفع وجهه الخفي فوق المياه وخوفا من تراني عيونه الخفية بعد أن أنسلّ بعيدا من نور هذا القمر الأصفر الخبيث والغادر.

هربت من هذا الشيء القاسي بأن غطست دون تردد في المياه الضحلة النتنة حيث تتغذى ديدان البحر السمينة على الموتى بين الجدران التي تعلوها الأعشاب وتخترقها الشوارع الغارقة.

الكاهن الشرير

قصة مأخوذة عن إحدى رسائل لافكرافت واستقاها عن حلم رآه ونشرت بعد موته في عدد أبريل 1939 من مجلة حكايات غريبة

أدخلني إلى الغرفة العلوية رجل ذكي المظهر وقور المحيا، له ثياب عادية ولحية رمادية، وتحدّث معي بهذا الشكل:

«نعم، كان يعيش هنا – لكنني لا أنصحك بفعل أي شيء، ذلك أن الفضول يجعلك طائشا. نحن لا نأتي إلى هذا المكان أبدا في الليل، ونحن نبقي الأمر هكذا بإرادته فقط. أنت تعرف ما فعله. تلك الجماعة الكريهة تولّت الأمر، ونحن لا نعرف أين مكان دفنه. ليس بإمكان القانون أو أي شيء آخر الوصول إلى تلك الجماعة.

«أتمنّى ألا تبقى حتى يحل الظلام. وأتمنى أن تترك ذلك الشيء على الطاولة وشأنه... ذاك الشيء الذي يبدو

مثل علبة ثقاب. نحن لا نعرف ماهيته، لكنّنا نشكّ أن له علاقة بما فعله. نحن نتجنب النظر إليه».

بعد فترة تركني الرجل وحيدا في العلية. كانت الغرفة قذرة ويعلوها التراب، ذات أثاث بسيط، لكنّها كان مرتبة وليست ملك رجل فقير. كانت هناك رفوف مليئة بالكتب اللاهوتية والكلاسيكية، ومكتبة أخرى بها أبحاث عن السحر – باراسيلسوس، ألبرتوس ماغنوس، تريثيميوس، هرمس تريسميغيستوس، بوريلوس، وآخرون كتبت أعمالهم بأبجدية غريبة لا أعرفها. كان الأثاث بسيطا جدا. كان هناك باب ولكنّه قاد إلى خزانة. وكان المخرج الوحيد هو فتحة في الأرضية ينتهي إليها السلم العتيق. بنيت النوافذ على نمط عين الثور، أما عوارض البلّوط السوداء فبنيت على طراز عصر قديم. بدا أن هذا البيت كان من العالم القديم. كنت أعرف مكاني وقتها، ولكني لا أتذكره الآن. وأنا متأكد أن تلك البلدة لم تكن لندن، وأظنها كانت ميناءا صغيرا.

سحرني ذاك الشيء الصغير على الطاولة. أحسست أني أعرف ما سأفعل به، وأخرجت من جيبي مصباحا كهربائيا وجرّبت نوره وكانت يدي ترتعش. لم يكن

نور المصباح أبيضا بل كان بنفسجيا، ولم يبد مثل نور عادي بل كان مثل وابل من الأشعة. أتذكّر أنّني لم أعتبره مصباحا عاديا، وأتذكر أنه كان لدي مصباح في الجيب الآخر.

حل الظلام، وبدت أسطح البيوت القديمة وأعمدة المداخن غريبة وأنا أناظرها من خلال النافذة. أخيرا استجمعت شجاعتي وأسندت الشيء الصغير على الطاولة قبالة كتاب – ثم وجّهت النور البنفسجي الغريب فوقه. بدا النور الآن مثل زخات من المطر والبَرَد وليس شعاعا متصلا. نزلت جزيئات الأشعة البنفسجية على السطح الزجاجي للشيء الغريب، وسمعتها تصدر فرقعة مثل صوت شرارات تعبر أنبوبا مفرغا. تلوّن السطح الزجاجي المظلم بوهج وردي، ورأيت شكلا أبيض غامضا يتشكل في داخله. ثمّ لاحظت أنني لم أكن لوحدي في الغرفة – وأعدت المصباح إلى جيبي.

لكن هذا الدخيل لم يتكلم – بل لم أسمع أي صوت على الإطلاق خلال اللحظات التالية. بدا كلّ شيء وكأنه تمثيلية صامتة وسط الظلام، كما لو أنه يقف من بعيد وسط الضباب – وإن بدا هذا الدخيل ومن لحق به

عمالقة وقريبين مني، كما لو أنهم كانوا قريبين وبعيدين في نفس الوقت.

كان هذا الدخيل أسمر البشرة ونحيلا، متوسط الطول ويرتدي زي قساوسة الكنيسة الأنجليكانية. بدا الرجل في الثلاثين من العمر، ذا بشرة زيتونية شاحبة وذا ملامح حسنة، لكن جبهته كانت عريضة جدا. كان شعره الأسود مشذبا وممشوطا بعناية، وكان حليق الوجه ولكن نمت على حنكه لحية كبيرة. وضع على عينيه نظارات لا إطار لها وذات أقواس فولاذية. كانت بنيته وملامحه مثل الكهنة الآخرين الذين رأيتهم، لكن جبهته كانت أعرض بكثير، وبدا من محياه أنه أذكى، وبدا أنه يخفى الشر وراء وجهه. بدا الرجل عصبيا ومتوترا في تلك اللحظة، وأنار مصباح زيت ذا نور ضعيف، ولم أدري به إلا وهو يرمي كل كتب السحر في الموقد على جانب الغرفة (حيث كان الحائط يميل بحدّة) وهو ما لم ألاحظ وجوده من قبل. التهمت النيران الكتب بنهم شديد – ترتفع ألسنتها بألوان غريبة وبعثت روائح كريهة لا يمكن وصفها وأنا أرى الأوراق ذات الكتابات الغريبة والأغلفة المسوّسة تستسلم للهب. في نفس الوقت رأيت رجالا آخرين في

الغرفة – متجهمين ويرتدون ثيابا كنسية، وكان أحدهم يلبس ثياب أسقف. لم أسمع منهم أي شيء، ولكنني أدركت أنّهم كانوا يتناقشون بما يجب فعله بالقادم الجديد. بدا أنهم يكرهونه ويهابونه في نفس الوقت، وبدا عليه أنه يحس بذات الشعور اتجاههم. كان التجهّم يعلو وجهه، ولكن أمكنني رؤية يده اليمنى تهتزّ وهو يحاول إمساك الكرسي. أشار الأسقف إلى العلبة الفارغة وإلى الموقد (حيث خمدت النيران وتركت وراءها كتلة متفحّمة)، وبدا عليه الاشمئزاز. رسم القادم الجديد ابتسامة مجعّدة على وجهه ومدّ يده اليسرى نحو الشيء الصغير على الطاولة. وعندها بدا الخوف على الجميع. بدأ موكب الكهنة بالنزول أسفل الدرجات الحادّة عبر الباب في الأرضية، واستداروا ولوّحوا بأيديهم وهم يرحلون عن الغرفة. وكان الأسقف آخر من رحل.

ذهب القادم الجديد إلى دولاب على الجانب الداخلي للغرفة وأخذ لفة من الحبال. صعد على كرسي، وربط أحد طرفي الحبل بخطّاف في العمود المركزي الكبير الذي صنع من البلوط الأسود، وبدأ بصنع أنشوطة بالطرف الآخر. أدركت أنه على وشك شنق نفسه، فاتجهت نحوه

لأثنيه عن عزمه أو أنقذه. رآني الرجل وتوقف عما يفعل، ونظر إلي بشيء من البهجة وهو ما حيّرني وأزعجني. نزل ببطء من الكرسي وانطلق نحوي بابتسامة وحشية على وجهه الأسمر بشفاهه النحيفة.

شعرت أنني في خطر يهدد حياتي، فأخرجت المصباح الغريب لأدافع به عن نفسي. لا أدري لماذا ظننت أن هذا الشيء سيساعدني. وجّهت كامل نور هذا الشيء على وجهه، ورأيت ملامحه الشاحبة تتوهّج أولا بنور بنفسجي ثم بنور وردي. رأيت تلك الابتسامة الوحشية على وجهه وهي تتحول إلى نظرة خوف عميق، ولكنها لم تمحو تلك البهجة عن وجهه. توقّف في طريقه، وبدأ يلوّح ذراعيه بعنف في الهواء، ثم بدأ يتمايل إلى الخلف. رأيته وهو يتجه نحو باب الدرج المفتوح في الأرضية، وحاولت تحذيره لكنه لم يسمعني. في لحظة أخرى ترنّح للوراء عبر الفتحة واختفى عن ناظري.

وجدت صعوبة في المشي نحو الدرج، ولكن عندما وصلت إليه لم أجد أي جثة على الأرض من تحتي. بدلا من ذلك رأيت جمعا من الناس بفوانيسهم، وانكسر الصمت الذي أطبق على المكان، وسمعت الأصوات مرة أخرى ورأيت

أشكالا ثلاثية الأبعاد. لا بد أن شيئا قد اجتذب الحشد إلى هذا المكان. هل صدر صوت لم أسمعه؟

ثم رآني شخصان من بعيد (بدا أنهم قرويّون بسطاء) ووقفا مشلولين ومصعوقين. صرخ أحدهما بصوت عالي ومدوّ:

«آه!... إنه بي زور؟ مجددا؟»

استداروا جميعهم وهربوا مذعورين. كلهم عدا واحدا. عندما اختفى الحشد رأيت الرجل الملتحي الذي جلبني إلى هذا المكان وهو يقف وحيدا ويحمل فانوسا. كان يحدّق بي بتلهف وافتتان، لكن لم يبد عليه الخوف. ثمّ بدأ بصعود الدرج ولحق بي في العلية. وتكلّم:

«لم تترك الشيء وشأنه! أنا آسف. أعرف ما حدث. حدث هذا الأمر قبل ذلك، لكن ذاك الرجل أصابه الخوف وأطلق النار على نفسه. ما كان يجب أن تجعله يعود. أنت تعرف ما يريده. لكن لا يجب أن تخاف كما فعل الرجل الآخر. شيء غريب وفظيع حدث لك، لكنه لم يؤذي عقلك وشخصيتك. إن حافظت على هدوئك، وقبلت بضرورة القيام بتغييرات جذرية في حياتك، فلا يزال بإمكانك عندها التمتّع بالعالم، والاستفادة من ثمار بحثك. لكن

لا يمكنك العيش هنا ولا أعتقد أنك ستتمنّى العودة إلى لندن. أنصحك بالذهاب إلى أمريكا.

«لا يجب أن تفكر بذاك الشيء أكثر من هذا. لا رجوع عما حدث. قد تحدث أمور أسوأ إن فعلت (أو استحضرت) أي شيء. وضعك ليس بالسوء الذي تعتقده، ولكن يجب أن تخرج من هنا حالا وتبقى بعيدا. ويجب أن تشكر السماء أن الأمر لم يسوء أكثر من هذا...

«سأحاول أن أجهزك لمواجهة الحقيقة ما أمكنني. حدث تغيير في مظهرك الشخصي. يحدث هذا دائما. لكنك ستتعود عليه في البلاد الجديدة. هناك مرآة على الجانب الآخر من الغرفة، وسآخذك إليها. ستصدم لما تراه ولكنك لن ترى ما يثير اشمئزازك».

اهتزّ جسدي بخوف مريع، وأخذني الرجل الملتحي بيده عبر الغرفة إلى المرآة، وهو يحمل المصباح الضعيف في يده الأخرى (المصباح الذي كان على الطاولة، وليس الفانوس الأضعف منه والذي دخل به الغرفة). هذا ما رأيته على زجاج المرآة:

رجل نحيل، أسمر البشرة، متوسّط القوام يلبس زيّا كهنوتيا للكنيسة الأنجليكانية، يبلغ عمره في الثلاثين

تقريبا، يلبس نظارات ذات قوس فولاذي ودون إطار، على جبهة شاحبة زيتونية عريضة.

كان شكل القادم الجديد الصامت الذي أحرق كتبه.

لبقية حياتي، سيكون مظهري الخارجي بمظهر ذاك الرجل!

الجزائر تقرأ

إلى النسيان

إلى النسيان هي قصيدة نثرية بقلم كاتب الرعب الأمريكي هوارد فيليبس لافكرافت، وكتبها في أواخر 1920 أو أوائل 1921 ونشرت لأول مرة في مجلة The United Amateur في مارس عام 1921، تحت اسم مستعار هو وارد فيليبس.

عندما أحسست بدنوّ أيامي الأخيرة، وأن توافه الوجود القبيحة بدأت تقودني إلى الجنون مثل قطرات الماء الصغيرة التي ينزلها المعذَّبون دون انقطاع على بقعة واحدة من أجساد ضحاياهم، وجدت نفسي أحب ملجأ النوم. وجدت في أحلامي قليلا من الجمال الذي بحثت عنه عبثا في الحياة، وتجوّلت عبر الحدائق القديمة والغابات المسحورة.

ذات مرة، كانت الريح هادئة وعطرة، وسمعت الجنوب يناديني، وأبحرت بلا نهاية وأنا أحس بالإعياء يعتريني تحت النجوم الغريبة.

ذات مرة عندما هطل المطر اللطيف دخلت في مركب على جدول لا تراه الشمس تحت الأرض حتى وصلت إلى عالم آخر من الغسق الأرجواني، والأشجار قزحية اللون، والورد الأبدي.

مشيت عبر وادي ذهبي يؤدّي إلى بساتين وأطلال غامضة، ووصلت إلى حائط هائل تحيط به الكرمات العتيقة، وتثقبه بوابة صغيرة من البرونز.

مشيت من خلال هذا الوادي عدة مرات، وكثيرا ما كنت أطيل الوقوف وسط الضوء الخفيف حيث تتلوى الأشجار العملاقة وتلتفّ بشكل غريب، وامتدّت الأرض الرمادية الرطبة من جذع إلى جذع، وكشفت عن بعض الأحجار التي يغطيها الفطر والتي تخص معابد مدفونة. وكان محط نظري هو الحائط الهائل الذي تعلوه الكروم والذي يقع بوسطه ذاك الباب البرونزي الصغير.

بعد فترة، لم أعد أحتمل أيام الوعي بسبب كآبتها وتشابهها، وفي أغلب الأحيان كنت أنجرف في سلام الدواء المنوم في الوادي والبساتين الغامضة، وأتساءل كيف أجعلها مسكني الأبدي، حتى لا أعود إلى عالم ممل تخلو منه المباهج والألوان الجديدة. نظرت إلى الباب الصغير في

الحائط الهائل، شعرت بأنّ خلفه تقع أرض من الأحلام متى يدخلها المرء، فلا رجوع منها.

في كل ليلة جاهدت في نومي لأجد مزلاج الباب المخفي في الحائط الأثري، رغم أنه كان مخفيا بشكل جيد. وكنت أخبر نفسي بأن العالم خلف الحائط كان أكثر ديمومة، بل وكان أكثر روعة وتألقا.

وفي إحدى الليالي كنت في زاكاريون مدينة الحلم ووجدت ورقة بردي مصفرّة امتلأت بأفكار حكماء الأحلام الذين سكنوا قديما في تلك المدينة، وبلغوا من الحكمة أنهم لم يولدوا في عالم اليقظين. في ذلك المكان كتبت عديد الأشياء التي تتعلّق بعالم الأحلام، وبينها حديث عن وادي ذهبي وبستان مقدس به معابد، وحائط عالي به باب برونزي صغير. عندما رأيت هذه الكتابة، عرفت أنها نفس المشاهد التي تراودني، فقرأت مطولا بالبردية.

كتب بعض حكماء الأحلام عن العجائب خلف الباب المنيع، لكن آخرين تحدثوا عن الرعب والإحباط. لم أعرف من أصدق، لكن رغبتي زادت بعبور الباب نحو الأرض المجهولة إلى الأبد؛ ذلك الشكّ والسرية هما أشد أنواع السحر، ولا يوجد رعب يتجاوز في غرابته وفظاعته

العذاب اليومي الذي يلقيه المكان العادي. لذا عندما علمت بالمخدّر الذي يفتح الباب ويوصلني إلى هناك، صمّمت على أخذه عندما أصحو.

ليلة أمس ابتلعت المخدّر وطفوت بحلمي إلى الوادي الذهبي والبساتين الغامضة؛ وعندما وصلت هذه المرة إلى الحائط الأثري، رأيت بأن الباب البرونزي الصغير كان مفتوحا. من ورائه أتى وهج غريب من الأشجار الملتفة العملاقة وقمم المعابد المدفونة، وسبحت بتناغم مع الفضاء، وأنا أتوقع أمجاد الأرض التي لن أعود منها أبدا.

لكن في الوقت الذي فتح فيه الباب عن آخره ودفعني سحر المخدّر والحلم إلى الداخل، عرفت بأنّ كلّ المشاهد والأمجاد كانت لها نهاية؛ ذلك العالم الجديد لم يكن أرضا أو بحرا، لكنه فقط فراغ أبيض لفضاء خالي من الناس ولا حدود له. لذا، كانت سعادتي أكبر مما كنت آمل، ودخلت إلى تلك اللا نهاية إلى النسيان حيث دعاني شيطان الحياة لأقضي ساعة قصيرة ومقفرة.

لغز المقبرة

الفصل الأول: قبر بيرنز.

كان الوقت ظهرا في قرية صغيرة تدعى ماينيفل، ووقفت مجموعة من الناس الذين غلبهم الحزن حول قبر السيد بيرنز. توفي جوزيف بيرنز. (عندما مات، أعطى هذه الأوامر الغريبة:- «قبل أن يُوضع جسدي في القبر، ارموا هذه الكرة على الأرض، في البقعة التي عليها علامة (A)». ثم سلم كرة ذهبية صغيرة للقس.) حزن الناس على وفاته ببالغ الأسى. بعد نهاية مراسم الدفن، قال السيد دوبسون (القس)، «يا أصدقائي، سأنفّذ الآن آخر رغبات المتوفى». ذهب إلى القبر. (ليضع الكرة على المكان ذو العلامة) بدأ الحضور يفقدون صبرهم، وبعد فترة زمنية نزل السيد غرين (المحامي) ليستطلع الأمر. عاد بسرعة للأعلى والخوف يعلو وجهه قائلا: «اختفى السيد

دوبسون»!

الفصل الثاني: السيد بيل الغامض.

كانت الساعة 3.10 في فترة ما بعد الظهر عندما رن جرس باب قصر السيد دوبسون. فتح الخادم الباب ووجد أمامه رجلا مسنا أسود الشعر وله سوالف على جانب وجهه. طلب الرجل رؤية الآنسة دوبسون. وعندما قابلها قال، «آنسة دوبسون، أعلم أين مكان والدك، وسأعيده لكِ مقابل 10,000 جنيه إسترليني. اسمي هو السيد بيل». ردت الآنسة دوبسون، «هلا سمحت لي بالخروج للحظة يا سيد بيل؟». أجاب السيد بيل «بالتأكيد». عادت الآنسة دوبسون بعد وقت قصير وهي تقول: «لقد فهمتك يا سيد بيل. لقد اختطفت والدي، وأنت تحتجزه مقابل فدية».

الفصل الثالث: في مركز الشرطة.

كانت الساعة 3.20 بعد الظهر عندما رن جرس الهاتف في مركز شرطة نورث إند، واستفسر غيبسون، (عامل الهاتف) عما يجري...

أجابه صوت امرأة: «لقد اكتشفت أن أبي قد اختفى! أنا

الآنسة دوبسون، وقد تم اختطاف والدي، أرسلوا بطلب كينغ جون»! كان كينغ جون محققا شهيرا من الغرب. ثم هرع رجل إلى المركز وصاح، «يا للرعب! تعالوا إلى المقبرة!»

الفصل الرابع: النافذة الغربية.

الآن دعونا نعود إلى قصر دوبسون. تفاجأ السيد بيل بحديث الآنسة دوبسون، ولكن عندما تمالك نفسه قال، «ليس الأمر بهذه البساطة تماما، أيتها الآنسة دوبسون، فأنا-» قبل أن يفاجئه دخول كينغ جون، وهو يحمل زوجا من المسدسات في يديه، وسد عليه المدخل. ولكن بيل أسرع إلى النافذة الغربية وقفز منها.

الفصل الخامس: سر القبر.

الآن دعونا نعود إلى مركز الشرطة. بعد أن هدأ الزائر، بدأ يروي قصته بشكل أفضل. رأى ثلاثة رجال في المقبرة وهم يهتفون «بيل! بيل! أين أنت أيها العجوز!؟» وكانوا يتصرفون بطريقة تثير الريبة. تبعهم حتى دخلوا قبر السيد بيرنز! شاهدهم وهم يضغطون على زنبرك على

نقطة عليها علامة «A» واختفوا بعد ذلك. «أتمنى لو أن كينغ جون كان هنا»، قال غيبسون، ثم سأل الزائر عن اسمه، فرد عليه «جون سبرات».

الفصل السادس: مطاردة بيل.

الآن دعونا نعود إلى قصر دوبسون مرة أخرى: كان كينغ جون قد ذهل تماما بهروب السيد بيل المفاجئ، ولكنه أفاق من دهشته وقرر أن يطارده على الفور. ظل يتعقبه حتى وصل إلى محطة القطار ليجد أن بيل استقل القطار إلى كينت، وهي مدينة كبيرة نحو الجنوب، ولا يوجد أي خط هاتف أو تلغراف بينها وبين ماينفيل. وكان القطار قد انطلق لتوه!

الفصل السابع: سائق العربة الزنجي.

بدأت رحلة القطار إلى كينت في الساعة 10.35، وبعد دقيقة هرع كينغ جون إلى محطة عربات ماينفيل وقال لسائق العربة الزنجي الذي كان يقف إلى جانب الباب: «إذا أخذتني إلى كينت في 15 دقيقة سأعطيك دولارا». رد سائق العربة «لا أعرف كيف أصل إلى ذلك المكان، لا أملك

خيولا جيدة الآن ولا–» ثم صاح جون «دولاران!» فرد السائق «حسنا».

الفصل الثامن: مفاجأة بيل.

كانت الساعة الحادية عشرة في كينت، وكانت جميع المحلات مقفلة إلا متجرا واحدا صغيرا قذرا في الطرف الغربي. ويقع بين ميناء كينت ومحطة القطار. وفي الداخل كان رجل رثّ المظهر يتحدث مع امرأة في منتصف العمر غزا الشيب شعرها، «لقد وافقت على القيام بهذه المهمة يا ليندي. سيصل بيل الساعة الحادية عشرة والنصف وستأخذه العربة إلى رصيف الميناء، حيث ستبحر سفينة إلى أفريقيا هذه الليلة».

سألت ليندي «لكن إذا وصل كينغ جون؟»

أجاب الرجل «إذا سيتم القبض علينا، وسيتم شنق بيل».

ثم أتى صوت من الباب «هل أنت بيل»؟ استفسرت ليندي. وأتى الرد «نعم. وقد ركبت قطار الساعة 10.35 وتركت كينغ جون خلفي، لذلك فنحن على ما يرام». في الساعة 11.40 وصل الفريق إلى المرفأ، ورأوا سفينة

قادمة في الظلام. وكان مكتوب عليها «كيدايف من أفريقيا»، وفي الوقت الذي اتجهوا فيه نحو السفينة، أتى رجل وسط الظلام وقال «جون بيل، أنت مقبوض عليك باسم الملكة»!

كان كينغ جون.

الفصل التاسع: المحاكمة.

أتى يوم المحاكمة، وتجمعت حشود الناس حول البستان الصغير، (الذي استخدم كمكان للمحكمة في فصل الصيف) ليستمعوا لمحاكمة جون بيل بتهمة الخطف. وقال القاضي «سيد بيل، ما هو سر قبر بيرنز؟»

وقال بيل: «إذا ذهبت إلى القبر ولمست بقعة معينة عليها حرف «A» ستعرف بنفسك» وأضاف «لن أقول أكثر من هذا».

«الآن أين هو دوبسون»؟ تساءل القاضي، ثم جاء صوت من وراءه «هنا»!، وظهر شخص السيد دوبسون نفسه في المدخل.

ردد الجميع «كيف جئت إلى هنا؟» وقال دوبسون «إنها

قصة طويلة».

الفصل العاشر: قصة دوبسون.

قال دوبسون «عندما نزلت إلى القبر، كل الظلام دامسا، ولم يكن بإمكاني رؤية شيء. ولكني رأيت أخيرا الحرف «A» مرسوما باللون الأبيض على الأرضية، وضعت الكرة على الحرف، وعلى الفور فتح باب على الأرض وخرج منه رجل. وكان هذا الرجل، هنا»، (مشيرا إلى بيل، الذي وقف وهو يرتجف خلف القضبان)، «وسحبني إلى أسفل داخل حجرة مضاءة وفخمة حيث بقيت بها حتى اليوم. وفي أحد الأيام هرع شاب إلى القبر وهتف «لقد انكشف السر!» وذهب، ولكنه لم يراني. في أحد الأيام أسقط بيل المفتاح وراءه، وصنعت قالبا لمفتاح في الشمع، وأمضيت اليوم التالي وأنا أبرد المفاتيح لتناسب القفل. وفي اليوم التالي صنعت المفتاح المناسب. وفي اليوم الذي تلاه (والذي هو اليوم) تمكنت من الفرار».

الفصل الحادي عشر: كشف اللغز.

سأل القاضي «لماذا طلب منك المرحوم بيرنز أن تضع

الكرة هناك»؟ (في علامة «A»؟) أجاب دوبسون «ليوقعني في مشكلة، فقد تآمر هو وشقيقه، فرانسيس بيرنز، ضدي لسنوات، وأنا لم أكن أعلم كيف سيلحقون الأذى بي». صاح القاضي «اقبضوا على فرانسيس بيرنز!».

الفصل الثاني عشر: الخاتمة.

أرسل فرانسيس بيرنز وجون بيل إلى السجن مدى الحياة. لقي دوبسون الترحيب الحار من ابنته، التي أصبحت أيضا السيدة كينغ جون. وأرسلت «ليندي» وشريكها لسجن نيوغيت لمدة 30 يوما كمتعاونين على الهروب من العدالة.

«الجزائر تقرأ»

الزجاجة الصغيرة

«توقف هناك، هناك شيء يعوم باتجاه الريح» كان المتحدث رجلا قصيرا وغليظ الجسم وكان اسمه وليام جونز. وهو ربان قارب شراعي صغير كان يبحر فيه هو وجماعته في زمن بداية هذه القصة.

«نعم يا سيدي» أجابه جون تاورز، وخفف القارب سرعته حتى توقف في مكانه. مدّ الكابتن جونز يده للشيء الذي توضح له الآن أنه زجاجة «لا بد أنها قارورة من خمر الرم رماها رجال مروا بهذا المكان على متن قارب»، ولكن مد يده إليها بدافع الفضول. كان على وشك رميها بعيدا عندما لاحظ وجود قطعة من الورق داخلها. فقام بسحبها وقرأ عليها ما يلي:

1 يناير 1864: أنا جون جونز أكتب رسالتي هذه وسفينتي تغرق بسرعة مع الكنز الذي على متنها حيث وضعت علامة ❋ على الرسم المضمن.

قلب الكابتن جونز الورقة ووجد خريطة على الجانب الآخر.

كتبت على الحافة هذه الكلمات: «الخطوط المنقطة تمثل الطريق الذي اتخذناه»

قال النقيب جونز بحماس «تاورز، اقرأ هذا»، فعل تاورز ما أمر به. قال الكابتن جونز «اعتقد أن الأمر يستحق الاستطلاع. ألا تظن هذا؟» أجابه تاورز «كما ترى». قال الربان المتحمس «سنستأجر مركبا شراعيا في هذا اليوم». رد تاورز بالإيجاب، فاستأجروا قاربا وانطلقوا وهو يتبعون الخطوط المنقطة في الخريطة. في غضون 4 أسابيع وصلوا إلى المكان على الخريطة ونزل الغواصون إلى الماء ثم خرجوا بزجاجة حديدية وجدوا في داخلها ورقة بنيّة كتبت عليها الأسطر التالية:

3 ديسمبر 1880: عزيزي الباحث، اعذرني على المقلب الذي لعبته عليك ولكنك تسحق ألا تعثر على شيء بسبب عملك الأحمق-

«حسنا» قال الكابتن جونز «استمر»

«ولكن سأتحمل نفقة تعبك ومجيئك إلى المكان الذي عثرت فيه على الزجاجة وعودتك منه، وأعتقد أن المبلغ

سيكون 2,500 دولار، وهو المبلغ الذي ستجده في صندوق حديدي. أعلم أنك عثرت على الزجاجة لأنني وضعت هذه الزجاجة هنا ومعها الصندوق الحديدي وبعد ذلك عثرت على مكان جيد لأضع فيه الزجاجة الثانية على أمل أن يغطي المال بعضا من نفقاتك – مجهول»

قال الكابتن جونز «أود أن أوجه له ركلة على رأسه» تم استدار قائلا «اذهب أيها الغواص وأحضر المال». في غضون دقيقة واحدة عاد الغواص ومعه صندوق حديدي داخله 2,500 دولار، وغطى نفقاتهم، ولكن لا أعتقد أنهم سيذهبون مرة أخرى إلى مكان غامض بتوجيهات زجاجة غامضة.

الجزائر تقرأ

السفينة الغامضة

رويال بريس، 1902

النسخة القصيرة

1

في ربيع العام 1847، وقعت قرية رورالفيل الصغيرة في حالة من البلبلة بعد أن حطّت سفينة غريبة في الميناء. لم تحمل السفينة أي علم، وكل شيء بها يثير الشبهة. لم يكن عليها اسم. أما ربانها فيدعى مانويل رويلو. إلا أن البلبلة زادت بعد أن اختفى جون غريغز من منزله. كان هذا في الرابع من أكتوبر، أما السفينة فقد اختفت في الخامس منه.

2

قابلت السفينة عند مغادرتها فرقاطة أمريكية وبدأت معركة حامية بينهما. وعند نهاية المعركة، فقدت الفرقاطة رجلا يدعى هنري جونز.

3

استمرت السفينة في مسارها باتجاه مدغشقر. وعند وصولها هرب السكان الأصليون في كل اتجاه. وعندما تجمعوا في الجانب الآخر من الجزيرة، وجدوا أن أحدهم مفقود. كان اسمه داهابيا.

4

بعد مناقشة مطولة تقرر أنه يجب فعل شيء بهذا الخصوص. عرضت مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني لمن يقبض على مانويل رويلو. ثم أتى الخبر المفزع: حطت سفينة بلا اسم على جزر فلوريدا كيز.

5

أرسلت سفينة إلى فلوريدا وتم حل اللغز. وفي خضم القتال كانوا يرسلون غواصة ويأخذون ما يريدونه. كانت السفينة قابعة بهدوء فوق مياه الأطلسي عندما قال أحدهم: «اختفى جون براون». وبالتأكيد فقد اختفى السيد براون عن الأنظار.

6

عاد القلق مجددا بين الناس، وذلك بعد العثور على الغواصة واختفاء جون براون، وعندها تم اكتشاف

شيء جديد. من الضروري عند تسجيل هذا الاكتشاف أن نذكر حقيقة جغرافية مهمة. في القطب الشمالي تقع قارة شاسعة من التربة البركانية، وجزء منها مفتوح أمام المستكشفين. تدعى هذه القارة «الأرض المحرمة».

7

في أقصى جنوب الأرض المحرمة، كان هناك كوخ، وحوله علامات أخرى عن سكن الإنسان بالمنطقة. دخلوا الكوخ فورا، ووجدوا غريغز وجونز وداهابيا مقيدين إلى الأرض. عاد الثلاثة إلى لندن، ثم افترق كل منهم إلى وطنه، فعاد غريغز إلى رورالفيل، وجونز إلى الفرقاطة، وداهابيا إلى مدغشقر.

8

إلا أن مصير جون براون ما يزال مجهولا، فظلوا يشددون المراقبة على الميناء في الأرض المحرمة، وعندما ظهرت الغواصة، وخرج القراصنة واحدا تلو الآخر يقودهم مانويل رويلو، واجههم وابل من النيران. وتم إنقاذ جون براون بعد المعركة.

9

استقبل غريغز استقبال الملوك في رورالفيل، وأقيم

عشاء على شرف هنري جونز، وأصبح داهابيا ملك مدغشقر، وأصبح براون ربان السفينة.

النسخة الطويلة

بقلم مجهول

1

في ربيع العام 1847، وقعت قرية رورالفيل الصغيرة في حالة من البلبلة بعد أن حطّت سفينة غريبة في الميناء. لم تحمل السفينة أي علم، وكل شيء بها يثير الشبهة. لم يكن عليها اسم. أتت من طرابلس في أفريقيا أما ربانها فيدعى مانويل رويلو. إلا أن البلبلة زادت بعد أن اختفى جون غريغز (زعيم القرية) من منزله. كان هذا في الرابع من أكتوبر، أما السفينة فقد اختفت في الخامس منه.

2

دق الجرس ثمان مرات على الفرقاطة الأمريكية كونستيتيوشن عندما رأى القائد فاراغوت سفينة عند الغرب. لم تحمل السفينة أي علم، ولم يكتب عليها أي اسم، وكل شيء بها يثير الشبهة. رفعت السفينة علم القراصنة. أمر فاراغوت بإطلاق النار وهو ما حدث، ثم

فتحت سفينة القراصنة عليهم المدافع من جانبها. وعند نهاية المعركة فقد القائد فاراغوت رجلا يدعى هنري جونز.

3

كان الزمن فصل الصيف على جزيرة مدغشقر. وكان أهل الجزيرة يحصدون الذرة، ثم صاح أحدهم «أيها الرفاق! أرى سفينة! لا تحمل السفينة أي علم، وليس عليها أي اسم، وكل شيء بها يثير الشبهة». وعند وصولها هرب السكان في كل الاتجاهات. وعندما تجمعوا في الجانب الآخر من الجزيرة، وجدوا أن أحدهم مفقود. كان اسمه داهابيا.

4

بعد مناقشة مطولة تقرر أنه يجب فعل شيء بهذا الخصوص. تمت مقارنة الملاحظات. وجد أن ثلاث عمليات اختطاف قد حدثت. سجلت حالات اختفاء جون غريغز، وهنري جونزن وداهابيا. عرضت مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه إسترليني لمن يقبض على مانويل رويلو والسفينة والطاقم والسجناء. ثم أتى الخبر إلى لندن: حطت سفينة بلا اسم على جزر فلوريدا كيز في أمريكا!.

5

هرع الناس إلى فلوريدا، ووجدوا أمامهم شيئا حديديا على شكل مغزل يسبح بهدوء فوق الماء بجانب حطام السفينة. صاح أحدهم «غواصة!» وصاح الآخر «نعم». وصاح رجل حكيم «تم حل اللغز». وفي خضم القتال أرسلوا غواصة ليأخذوا من الرجال ما يريدون دون أن يرصدهم أحد. ثم صاح أحدهم: «اختفى جون براون». وبالتأكيد فقد اختفى السيد براون عن الأنظار.

6

عاد القلق مجددا بين الناس، وذلك بعد العثور على الغواصة واختفاء جون براون، وعندها تم اكتشاف شيء جديد. من الضروري عند تسجيل هذا الاكتشاف أن نذكر حقيقة جغرافية مهمة. في القطب الشمالي تقع قارة شاسعة من التربة البركانية، وجزء منها مفتوح أمام المستكشفين ولكنها جدباء ومقفرة، ولهذا فإن اجتيازها مستحيل. تدعى هذه القارة «الأرض المحرمة».

7

في أقصى جنوب الأرض المحرمة، كان هناك رصيف وكوخ، وحولهما علامات أخرى عن سكن الإنسان

بالمنطقة. كانت هناك صفيحة صدئة على باب الكوخ كتب عليها بالإنجليزية «م. رويلو». فهذا إذا منزل مانويل رويلو. وجدوا مفكرة تخص جون غريغز، وسجل من سفينة كونستيتيوشن يخص هنري جونز، وآلة حصاد من مدغشقر تخص داهابيا.

8

عندما همّوا بالمغادرة، رأوا زنبركا بجانب الكوخ. وعندما ضغطوا على الزنبرك، ظهرت حفرة بجانب الكوخ فدخلوا فيها. وجدوا أنفسهم في كهف تحت الأرض؛ ووصلوا إلى الشاطئ الذي امتد إلى حافة البحر الأسود والكئيب؛ ورأوا عند البحر شيئا داكنا مستطيلا – كانت غواصة أخرى ودخلوها. ووجدوا غريغز وجونز وداهابيا مقيدين إلى الأرض كلهم أحياء وبخير. عاد الثلاثة إلى لندن، ثم افترق كل منهم إلى وطنه، فعاد غريغز إلى رورالفيل، وجونز إلى الفرقاطة، وداهابيا إلى مدغشقر.

9

إلا أن مصير جون براون ما يزال مجهولا، فظلوا يشددون المراقبة على الميناء في الأرض المحرمة، على أمل أن تظهر الغواصة. إلا أنها ظهرت بعد طول انتظار

وحملت معها جون براون. وانتظروا حتى الخامس من أكتوبر ليبدؤوا القتال. اجتمعوا عند الشاطئ وكوّنوا مجموعات. في النهاية، خرج القراصنة واحدا تلو الآخر يقودهم مانويل رويلو، واجههم وابل من النيران وقد صعقتهم المفاجأة.

10

هزم القراصنة وتم البحث عن براون. وفي النهاية عثر على براون. استقبل غريغز استقبال الملوك في رورالفيل، وأقيم عشاء على شرف هنري جونز، وأصبح داهابيا ملك مدغشقر، وأعدم مانويل رويلو في سجن نيوغيت.

الجزائر تقرأ

الآلهة الأخرى

قصة كتبها لافكرافت في 14 أغسطس 1921 ونشررت في مجلة The Fantasy Fan في عدد نوفمبر 1933

على أعلى قمم الأرض تسكن آلهة الأرض، ولم يحدث أن صعدها إنسان ليتحدث عمّا رآه عليها. سكنت الآلهة القمم الأدنى منها؛ ولكن الإنسان قد يأتي من السهول ويصعد منحدرات الصخر والثلج، فتترك الآلهة تلك القمم إلى قمم أعلى حتى بقيت منها أعلاها. وعندما رحلت تلك الآلهة عن قممها أخذت معها كل علامة على وجودها، إلا في مرة واحدة كما يقال، حيث تركت صورا محفورة على جبل يدعى نغرانيك.

لكن تلك الآلهة انزوت الآن في جبل كاداث المجهول في القفار الباردة التي لا تطأها أقدام البشر، إذ لم تكن هناك قمة أعلى منها تؤويهم من زحف الإنسان. أصبحوا الآن أشداء، وبعد أن كانوا في يوم ما يعانون من زحف

الإنسان على أرضهم، فهم الآن يحرّمون قدوم الإنسان إليهم، ومن يأتيهم لا يرجع. ومن الأفضل لهم ألا يعلم الإنسان بشأن جبل كاداث في القفار الباردة، وإلا ثابر على صعوده بجنون وطيش.

قد يحدث أن تحنّ آلهة الأرض إلى تلك القمم التي سكنتها في الماضي، وتزورها في ظلمة الليل وتبكي وهي تسترجع أيامها القديمة على تلك المنحدرات. أحس البشر بدموع الآلهة على جبل ثوراي المكلّل بالثلج الأبيض، وحسبوا أنه مطر؛ وسمعوا تنهيدات الآلهة بين رياح الفجر الكئيبة على جبل ثيريون. اعتادت الآلهة على الترحال على سفن السحاب العملاقة، أما الفلاحون الحكماء فيتناقلون أساطير تحذر من تسلق القمم العالية تحت جنح الظلام والغيوم، ذلك أن الآلهة لم تعد متساهلة كما في الماضي.

في مدينة أولثار، التي تقع وراء نهر سكاي، عاش رجل عجوز كان يتوق لرؤية آلهة الأرض؛ رجل تعمّق بدراسة كتب الأرض السبعة الخفية، وكان يقرأ المخطوطات البناكوتية من مدينة لومار البعيدة والباردة. كان اسمه بارزاي الحكيم، وروى القرويون كيف أنه صعد إلى جبل في ليلة خسوف غريب.

كان بارزاي يعرف الكثير من أسرار الآلهة حتى أنه عرف مواعيد قدومهم ورحيلهم، وكان يعرف من أسرارهم ما جعل الناس يعتبرونه نصف إله. كان هو من قدّم النصح لمواطني أولثار عندما أقروا ذاك القانون العجيب الذي يحرّم قتل القطط، وهو من أخبر أتال الكاهن الشاب بمكان رحيل القطط السوداء في عيد القديس يوحنا. درس بارزاي علوم آلهة الأرض، وكان يرغب برؤية وجوههم. آمن بارزاي أن معرفته بأسرار الآلهة ستحميه من غضبهم، وعزم على صعود قمة جبل هاثيغ-كلا العالي والصخري، وعزم على الصعود في ليلة يتواجد فيها الآلهة.

يقع جبل هاثيغ-كلا في الصحراء الصخرية البعيدة بعد مدينة هاثيغ، والتي سُمّي عليها، وينتصب مثل تمثال صخري في معبد هادئ. وعلى قمته يجوب الضباب الحزين، ذلك أن الضباب هو ذكريات الآلهة التي أحبت هذا الجبل عندما سكنته في الأيام الخوالي. وكثيرا ما زارته آلهة الأرض على سفن السحاب التي تلقي بأبخرتها الشاحبة على المنحدرات وهي ترقص على القمة تحت نور القمر. يقول أهل هاثيغ أنه من الشؤم صعود جبل

هاثيغ-كلا في أي وقت، وأن الهلاك يحل على من يصعده بالليل عندما يغطّي السحاب الأبيض القمة والقمر؛ لكن بارزاي لم يبالي بهم عندما أتى من أولثار المجاورة مع أتال الكاهن الشاب، والذي كان تلميذه. أتال هو ابن صاحب النزل، وكان يعتريه الخوف في بعض الأحيان؛ لكن والد بارزاي كان نبيلا وسكن في قلعة قديمة، لذلك لم يكن يؤمن بالخرافات، وكان يسخر من مخاوف القرويين.

انطلق بارزاي وأتال من هاثيغ إلى الصحراء الصخرية رغم استجداء القرويين لهم بالعودة، وتسامروا على النار بأحاديث عن آلهة الأرض. استمر مسيرهم لأيام عديدة، ورأوا جبل هاثيغ كلا من بعيد، تحيط به هالة الضباب الكئيب. وفي اليوم الثالث عشر وصلوا قاعدة الجبل الذي انتصب وحيدا في هذه الصحراء. تحدث أتال عن مخاوفه، لكن بارزاي كان عجوزا ومتعلما ولم يكن خائفا، فتقدّم أولا في المنحدر الذي لم يصعده أحد منذ زمن سانسو، الذي تحدثت عنه المخطوطات البناكوتية العفنة برهبة وخوف.

كان طريق الجبل صخريا، وزاد من خطورته الهوّات

والجروف والأحجار المتساقطة. بدأ البرد يحل والثلج يتساقط؛ وكثيرا ما زلّت أقدامهما وهما يشقان طريقهما للأعلى بالعصي والفؤوس. بدأ سمك الهواء يخفّ، وتغيّر لون السماء، وأحس الرجلان بصعوبة في التنفس؛ لكنهما جاهدا بالمسير، وأذهلتهما غرابة المشهد وتاقا لما ينتظرهما في الأعلى عندما يرتفع القمر وينتشر البخار الأبيض في المكان. واصل الاثنان سيرهما إلى قمة العالم لثلاثة أيام متواصلة؛ ثم خيّما بانتظار القمر والغيوم.

انتظرا لأربعة أيام دون قدوم الغيوم، وأشرق نور القمر البارد على الضباب حول الجبل الوحيد. وفي الليلة الخامسة اكتمل البدر. رأى بارزاي سحبا كثيفة وبعيدة قادمة من الشمال، وسهر مع أتال ليراقبها وهي تقترب منهم. طافت السحب في الهواء بهيبة وعظمة، واقتربت ببطء وتأنّي؛ وأحاطت بالقمة فوق رؤوس الناظرين، فاختفى القمر ورأس الجبل عن النظر. ظل الرجلان يراقبان السماء لساعة من الزمن، ويشاهدان الأبخرة تدور وتتكاثف حول القمة. كان بارزاي عالما بأخبار آلهة الأرض، وظل ينصت لأصوات بعينها، لكن أتال أحس ببرد الغيوم ورهبة الليل، واعتراه الخوف الشديد. وعندما

واصل بارزاي صعوده بلهفة، كان أتال يتردد قبل أن يلحقه.

كان الغبار كثيفا والطريق شاقا، وظل أتال يتبع معلمه، وإن شقّ عليه رؤيته وهو يصعد المنحدر تحت نور القمر والغيوم الكثيفة. أسرع بارزاي خطاه بعيدا، وكان يتسلق الجبل أسرع من أتال رغم سنه؛ لم يخش تلك المنحدرات التي لا يجتازها إلا رجل شجاع قوي، ولم توقفه تلك الجروف المظلمة التي تجمّد أمامها أتال. واصل الشيخ وتلميذه المسير على الصخور والهاويات، وأقدامهم تزلّ وتتعثر، وعيونهم شاخصة على تلك القمم الثلجية الكئيبة والمنحدرات الصخرية الصماء.

اختفى بارزاي فجأة عن نظر أتال، وهو يصعد الجروف التي بدا أنها تغلق الطريق على كل قادم. كان أتال لا يزال بعيدا في الأسفل، وكان يفكّر بما يجب فعله عندما يصل المكان، ثم لاحظ أن النور بدأ يشتد، وكأن القمة التي سيلتقي عليها الآلهة أصبحت قريبة. تسلق أتال نحو الجرف العالي والسماء المنيرة وأحس بخوف لم يحسّ بمثيل له من قبل. ثم سمع صوت بارزاي وسط الضباب الكثيف وهو يهتف ببهجة وسرور:

«سمعت الآلهة. سمعت آلهة الأرض وهي تغنّي بمرح على جبل هاثيغ-كلا! سمع بارزاي النبي صوت آلهة الأرض. خفّ الضباب وأشرق القمر، وسأرى الآلهة وهي ترقص على هاثيغ-كلا كما فعلت في الأيام الخوالي. حكمة بارزاي جعلته أعظم من آلهة الأرض، ولم تمنعه حواجزهم وسحرهم؛ سيشاهد بارزاي الآلهة... آلهة الأرض التي تزدري منظر الإنسان.

لم يسمع أتال تلك الأصوات التي سمعها بارزاي، ولكنه اقترب الآن من الجرف وبحث عن موطئ لقدمه. ثم سمع صوت بارزاي وهو يحتدّ ويعلو:

«لقد خفّ الضباب، وألقى نور القمر بالظلال على المنحدر؛ أصوات آلهة الأرض عالية وقوية، وهم يخشون قدوم بارزاي الحكيم الذي هو أعظم منهم... نور القمر يرتعش، وآلهة الأرض ترقص عليه؛ وسأرى الآلهة وهي ترقص وتقفز وتصيح تحت نور القمر... بدأ النور يخفت وبدأت الآلهة تخاف...»

أحس أتال بتغيّر الهواء وهو يسمع كلمات بارزاي، وكأن قوانين الأرض تركع أمام قوانين أكبر منها؛ ورغم أن الطريق كان أكثر انحدارا من سابقه، فقد كان أسهل من

ذي قبل، وكانت العوائق على الجرف أقلّ وهو يجتازها بشجاعة. خفت نور القمر، وصعد أتال عبر الضباب وسمع صوت بارزاي الحكيم يصرخ وسط الظلال:

«أظلم القمر، والآلهة ترقص في الظلام؛ هناك رعب في السماء، إذ غاب القمر في خسوف لم تتنبأ به كتب البشر أو آلهة الأرض... هناك سحر على هذا الجبل لا أعرفه، ذلك أن صرخات الآلهة الخائفة تحولت إلى ضحكات، ومنحدرات الجليد تمتد إلى السماء السوداء حيث تقع وجهتي... هيه! هيه! أخيرا! أرى آلهة الأرض وسط النور الضعيف!»

ظلت قدم أتال تزلّ على المنحدرات الوعرة، وسمع ضحكات كريهة وسط الظلام، وامتزجت بصرخة لم يسمعها إنسان إلا في كوابيسه؛ صرخة رددت صدى الرعب والألم في لحظة مريعة واحدة:

«الآلهة الأخرى! الآلهة الأخرى! آلهة الجحيم الخارجي التي تحرس آلهة الأرض الضعيفة!... أبعد نظرك... ارجع... لا تنظر! لا تنظر! انتقام الهاوية السحيقة... تلك الحفرة الملعونة... يا آلهة الأرض الرحيمة، أنا أقع في السماء!»

أغلق أتال عينيه وأذنيه وتحامل على نفسه أن ينزل للأسفل ويقاوم قوة الجذب من المترفعات، ودوّى على الجبل قصف الرعد العنيف الذي أيقظ القرويين في السهول وأيقظ مواطني هاثيغ ونير وأولثار، فشاهدوا خسوف القمر الغريب الذي لم يتنبأ به أي كتاب. وعندما طلع القمر مجددا، وجد أتال نفسه بأمان على الثلج في سفوح الجبل دون أي أثر لآلهة الأرض أو الآلهة الأخرى.

تروي المخطوطات البناكوتية العفنة أن سانسو صعد هاثيغ-كلا ولم يجد شيئا سوى الثلج والحجارة. ولكن عندما تغلب رجال أولثار ونير وهاثيغ على خوفهم وصعدوا الجرف العالي في النهار بحثا عن بارزاي الحكيم، وجدوا علامة محفورة على الحجارة في القمة، علامة هائلة بطول خمسين ذراعا، وكأن الحجارة حُفرت بإزميل ضخم. وكانت تلك العلامة تشبه تلك التي تبيّنها العلماء في تلك المقاطع المخيفة من المخطوطات البناكوتية والتي بلغت من القدم أن صعبت قراءتها. هذا ما وجدوه فقط.

لم يُعثر على بارزاي الحكيم أبدا، ولم يتمكن أحد من إقناع أتال بالصلاة على روحه. والأكثر من هذا، فإن

أهل أولثار ونير وهاثيغ يخافون الخسوف، ويصلّون بالليل عندما يأتي الضباب الأبيض ويُخفي القمر وقمة الجبل. أما آلهة الأرض فترقص على قمة جبل هاثيغ- كلا وتتذكر أيامها هناك؛ فهم يعرفون أنهم بأمان، وهم يحبون القدوم من جبل كاداث المجهول في سحب الغيوم ويلعبون كما كانوا يفعلون عندما كانت الأرض يافعة ولم يصعد البشر تلك الأماكن المنيعة.

‹الجزائر تقرأ›

الشيخ الرهيب

الشيخ الرهيب قصة قصيرة كتبها لافكرافت في عام 1920 ونشرها في السنة التالية في مجلة الهواة Tryout

خططّ أنجيلو ريتشي وجو تشانيك ومانويل سيلفا للتجسّس على الشيخ الرهيب. هذا الشيخ يسكن لوحده في منزل قديم جدا في شارع واتر بالقرب من البحر، وهو معروف بثرائه الفاحش ووهن جسده؛ وهو ما يشكل مصدر جذب لمهنة السادة ريتشي وتشانيك وسيلفا، ذلك أن مهنتهم كانت السرقة.

يتحدث أهل كينغسبورت بكثير الأمور حول الشيخ الرهيب والتي تبقيه سالما عن أعين أناس مثل السيد ريتشي وزملائه، ولكن من شبه المؤكد أنه يخفي ثروة لا تعد ولا تحصى في مكان ما في داره العتيقة والمهيبة. في الحقيقة، فهو شخص غريب جدا، ويُعتقد أنه كان في شبابه ربانا في سفن شركة الهند الشرقية؛ وبلغ من العمر مبلغا أن لا أحد يتذكر متى كان شبابه، وكان قليل

الكلام بحيث أن قلّة يعرفون اسمه الحقيقي. يحتفظ الشيخ بين الأشجار المتشابكة في الفناء الأمامي لبيته القديم والمهمَل بمجموعة غريبة من الحجارة الكبيرة، منظّمة بشكل غريب وملونة بحيث تشابه الأصنام في بعض معابد الشرق الغامضة. هذه الأصنام تخيف الأولاد الصغار الذين يحبون مضايقة الشيخ الرهيب بشعره الطويل ولحيته التي علاها البياض، أو يكسرون نوافذ بيته الصغيرة بقذائف شرّيرة؛ ولكن هناك أشياء أخرى تُخيف الناس الفضوليين البالغين والذين يتسلّلون إلى المنزل ويختلسون النظر من خلال النوافذ التي علاها الغبار. ويقول هؤلاء أنهم رأوا طاولة في غرفة خالية في الطابق الأرضي وعليها العديد من القناني الغريبة، في كل منها قطعة صغيرة من الرصاص معلقة بخيط كالبندول. ويقولون أن الشيخ الرهيب يتحدّث إلى هذه الزجاجات، ويناديها بأسماء مثل جاك، الوجه ذو الندبة، توم الطويل، جو الإسباني، بيترز، الرفيق إليس، وكلما تحدّث إلى زجاجة فإن البندول الرصاصي يهتزّ بإشارات محدّدة كما لو كان يجيبه.

من يشاهد الشيخ الرهيب الطويل والهزيل وهو منشغل

في محادثاته الغريبة، فإنه يقرّر عدم مقابلته مرة أخرى. لكن أنجيلو ريتشي وجو تشانيك ومانويل سيلفا لم يكونوا من كينغسبورت؛ بل كانوا قوما أغرابا وقادمين جددا وغير متجانسين مع دائرة الحياة والتقاليد السحرية في نيو إنغلاند، ولم يروا في الشيخ الرهيب إلا شخصا مترنّحا عاجزا بلحية رمادية، لا يمشي إلا بمساعدة عكازه، ويداه النحيلتان الضعيفتان ترتعشان بشكل يثير الشفقة. كانوا يحسون بالأسى وهم في طريقهم إلى بيت الرجل الشيخ والوحيد، والذي نأى عنه الجميع، حتى أن كل الكلاب كانت تنبح عليه. ولكن العمل يأتي قبل كل شيء، ويجد اللص إغراءا وتحديّا في بيت رجل مسن وضعيف لا يملك حسابا في المصرف، ويشتري ضرورياته من متجر القرية بنقود الذهب والفضة الإسبانية التي سكّت قبل قرنين من الزمان.

اختار السادة ريتشي وتشانيك وسيلفا ليلة الحادي عشر من أبريل لمهمّتهم. قرّر السيد ريتشي والسيد سيلفا مقابلة الشيخ المسكين، بينما انتظرهم السيد تشانيك في السيارة في شارع شيب، قرب البوابة عند الجدار الخلفي الطويل في أرض مضيفهم. وقد وضعوا خططا أخرى كي

يرحلوا بهدوء ودون إثارة للشك، رغبة منهم في تجنّب تقديم أي تفسيرات لا داعي لها في حالة مجيء الشرطة فجأة.

وكما خطّط المغامرون الثلاثة مسبقا، فقد ذهب كل على حدة لدرء أي شك بشأن مهمتهم. تقابل السادة ريتشي وسيلفا في شارع واتر قرب البوابة الأمامية لبيت الشيخ، ارتابوا من نور القمر وهو ينير على الحجارة الملوّنة من خلال فروع الأشجار المتشابكة، لكن كان لديهم ما هو أهم من التفكير بالخرافات التافهة. كانوا يفكّرون بمقدار العمل اللازم لجعل الشيخ الرهيب يفصح عّما يحتفظ به من ذهب وفضة، ذلك أن رجال البحر الذين بلغوا من العمر عتيّا يُعرفون بالعناد وسوء الطبع. ومع ذلك، فقد بلغ من الكبر والضعف مبلغا، وكان هناك زائران يترصّدان به. وكان السادة ريتشي وسيلفا خبيران في فن تحويل الناس الكتومين إلى فصحاء، كما أنه يمكن كتم صرخات الشيوخ الضعفاء بسهولة. انطلقا إلى نافذة مضاءة وسمعا الشيخ الرهيب وهو يتكلم إلى زجاجاته ذات البندول وكأنه طفل. بعد ذلك ارتدوا الأقنعة وطرقوا بكل أدب على الباب البلوطي الذي أثّر عليه الطقس.

بدا الانتظار مملا بالنسبة للسيد تشانيك وهو قلق يتململ في السيارة قرب البوابة الخلفية لمنزل الشيخ الرهيب في شارع شيب. وكان طيب القلب، ولم يحب سماع تلك الصرخات البشعة التي سمعها في البيت القديم بعد ساعة فقط من المهمة. ألم يخبر زملاءه أن يكونوا رحماء ما أمكن مع ربّان البحر المسكين؟ ظل يراقب بعصبية شديدة هذا الباب البلوطي الضيق في الجدار الحجري العالي والذي تعلوه فروع اللبلاب. وكثيرا ما كان ينظر إلى ساعته ويتساءل عن سبب هذا التأخير. هل توفي الرجل الشيخ قبل الكشف عن مكان كنزه، وأصبح من الضروري تفتيش المكان بدقة؟ لم يرغب السيد تشانيك بالانتظار وقتا طويلا وسط الظلام في مثل هذا المكان. ثم سمع خطوات لينة على الرصيف داخل البوابة، وسمع صوت شيء يتحسس المزلاج الصدئ، ورأى الباب الثقيل والضيق وهو يُفتح ويتحرك إلى الداخل. وعلى وهج نور مصباح الشارع الخافت مدّ نظره ليرى ما جلبه زملاؤه من ذلك البيت الشرير. ولكن عندما نظر إلى المنزل، لم يرى ما كان يتوقعه؛ لم ير زملاءه على الإطلاق، ولكنه رأى الشيخ الرهيب وهو يتكئ بهدوء على عصاه ويرسم

على وجهه ابتسامة مخيفة. لم يلاحظ السيد تشانيك من قبل لون عيني هذا الرجل؛ ولكنه رأى الآن أنها صفراء.

لا تحدث أشياء مثيرة في المدن الصغيرة، ولهذا السبب فقد تحدث الناس في كينغسبورت ذلك الربيع والصيف عن جثث ثلاثة مجهولة الهوية، تم تقطيعها بشكل مريع بعدة خناجر، وتشوهت بشدة بعد أن داستها عدة أقدام، والتي غسل ماء المد آثارها. حتى أن بعض الناس تحدثوا عن أشياء عادية مثل السيارة المهجورة التي عثر عليها في شارع شيب، أو الصرخات التي لا يظهر أنها صدرت من بشر، وربما كانت من حيوان ضال أو الطيور المهاجرة، والتي سمعها المواطنون الذين سهروا ليلا. ولكن في هذا القيل والقال لم يهتم أهل القرية الناعسة بأمر الشيخ الرهيب على الإطلاق. فقد حفظت الطبيعة هذا الرجل، وعندما ينال العمر والضعف من الإنسان، فإن الطبيعة تحفظه أكثر فأكثر. إلى جانب ذلك، فلا بد أن البحار الشيخ شهد في أيام شبابه البعيدة التي لا يتذكرها أحد عشرات الأشياء التي تفوق ما حدث هنا إثارة.

الكهف السري، أو مغامرة جون ليز

قالت السيدة لي «والآن، كونوا هادئين أيها الأطفال ونحن في الخارج، ولا توقعوا أنفسكم في المشاكل». قرر السيد والسيدة لي أن يخرجا في ذلك اليوم ويتركا طفليهما، جون ذو العشر سنوات، وأليس ذات السنتين. أجاب جون «نعم».

حالما خرج الزوجان، قرر الطفلان النزول إلى القبو وبدآ يفتشان في القمامة. انحنت أليس الصغيرة على الجدار وهي تراقب جون. كان جون يصنع قاربا من أخشاب البراميل، ثم أطلقت الفتاة صرخة قوية عندما انهار الطوب خلفها، فاندفع نحوها ورفعها عن الأرض وهي تصرخ بصوت عال. وحالما هدأت صرخاتها قالت «ذهب الجدار بعيدا»، ذهب جون ورأى أن هناك ممرا، وقال للفتاة الصغيرة «لنذهب ونرى ما هذا». ردت الفتاة

بالإيجاب ودخلا المكان. كان الممر أطول من مدى نظرهما، وكان بإمكانهما الوقوف داخله. عاد جون إلى الطابق العلوي وفتح درج المطبخ وأخرج شمعتين وبعض أعواد الثقاب وعاد بعد ذلك إلى القبو. دخل الاثنان مرة أخرى. كانت هناك طبقة من الجص على الجدران والسقف والأرضيات. لم يكن أي شيء واضح عدا صندوق. كان مخصصا للجلوس. إلا أنهما تفحصاه ووجدا أنه فارغ. استمرا بالمشي حتى بدأ الجص يتساقط من الجدران ووجدا نفسيهما في كهف. كانت أليس الصغيرة خائفة في البداية ولكن شقيقها طمأنها أن كل شيء سيكون بخير، ما ساعد بتهدئة مخاوفها. وصل الصغيران إلى صندوق صغير فأخذه جون وحمله معه. وبعد وقت قصير وجدا أمامهما قاربا وبه مجدافان. قام جون بجره بصعوبة. وجدا أن الممر يصل إلى نهاية مسدودة. قام جون بسحب العقبة بعيدا ورأى الماء وهو يسيل بقوة. كان جون سباحا ماهرا وبإمكانه حبس أنفاسه لفترة طويلة. شهق بقوة ليجمع الهواء في رئتيه وحاول أن يرتفع، ولكن لم يستطع لأنه كان يحمل أخته والصندوق. ثم شاهد القارب وهو يرتفع في الماء فأمسك به . . . .

وجد جون نفسه على سطح وهو يتشبث بإحكام بجثة شقيقته والصندوق الغامض. لم يكن بمقدوره أن يتصور كيف دخل الماء، ولكنه الآن يواجه خطرا جديدا. إذا استمر منسوب المياه بالارتفاع فإنه سيصل إلى القمة. وفجأة خطرت بباله فكرة. بإمكانه إغلاق المياه. فعل هذا على وجه السرعة، ورفع جثة شقيقته التي أصبحت هامدة الآن إلى القارب ودخل فيه، ثم أبحر عبر الممر. كان الممر مظلما للغاية. انطفأت شمعته بسبب الطوفان وكانت جثة أخته الهامدة بجانبه، ولم ينظر بجانبه بل جدف ليهرب بحياته. وعندما نظر فوقه وجد أنه في قبو منزله. اندفع بسرعة عبر الدرج مع الجثة، ووجد أن والديه عادا إلى المنزل، وأخبرهم بالقصة.

* * * * *

كانت جنازة أليس طويلة حتى أن جون نسي تماما أمر الصندوق، ولكن عندما فتحوه وجدوا بداخله قطعة من الذهب الخالص تبلغ قيمتها نحو 10,000 دولار، تكفي لدفع ثمن أي شيء إلا وفاة شقيقته.

يعتبر هوارد فيليبس لافكرافت واحدا من الكتاب الأمريكيين الأكثر إنتاجا، تخصص في أدب الخيال الغريب وخيال الرعب، وعُرِف بإنشائه لما أصبح يعرف بـ كثولو ميثوس.

في مجموعته القصصية "ما يجلبه القمر" نرى نصوصا قصصية متنوعة من أشكال أدبية منوعة اشتغل عليها لافكرافت، في الرعب والخيال الغريب.

جميع كتبنا متوفرة للشراء عبر
DZREADS.COM
الجزائر تقرأ
«الجزائر تقرأ»